



مركز البحوث الفلسطينية والاستراتيجية

التقدير نمف الشهرى

تحليل للتطورات السياسية
والأمنية فى «إسرائيل»

www.bahethcenter.net
Email: baheth@bahethcenter.net
bahethcenter@hotmail.com



**مركز الدراسات
الفلسطينية والاستراتيجية**

تحليل نصف شهري للتطورات السياسية والأمنية في «إسرائيل»

أهداف المركز الرئيسية:

- 1 إعادة فلسطين إلى موقعها الحقيقي كقضية مركزية للأمم.
- 2 الترويج للقيم الجهادية والنضالية في إطار استراتيجية تحرير فلسطين.
- 3 بناء علاقة متينة مع النخب والشخصيات المعنية بالقضية الفلسطينية.
- 4 إصدار دراسات وأبحاث وتقارير ذات بعد استراتيجي وتحليلي.

زلزال "سيف القدس" يقلب المعادلات لصالح القضية الأم

1 - مدخل:

اعتبر الصحفي الإسرائيلي يوسي ميلمان في صحيفة هآرتس أن مسيرة الأعلام التي نظمها اليهود في يوم القدس كانت خاطئة وسماها باسم "مسيرة الحماسة" لأنها "دفعتنا إلى جولة أخرى من المواجهة مع حماس في الجنوب" على حد قوله. وفي الكتاب الذي يحمل الاسم نفسه، عرفت المؤرخة بريارة توخمان، الحماسة بأنها عمل أو تمسك بسياسة تناقض المصلحة الذاتية. وأضافت "هذا ما يحدث عندنا في الأسابيع الأخيرة، في أعقاب سلسلة قرارات لرئيس الحكومة الانتقالية، بنيامين نتنياهو، والمستوى التنفيذي، وبالأساس شرطة إسرائيل".

بالنسبة لتفاقم الأحداث اعتبر الصحفي ميلمان، أن تراكم عدد من الوقائع والعمليات قد تجمعت بالصدفة وتحولت إلى كتلة حاسمة ومؤثرة في التسلسل الدرامي للأحداث:

1- إلغاء الانتخابات الفلسطينية بعد أن أدركت السلطة الفلسطينية ورئيسها محمود عباس بصورة متأخرة، بمساعدة ضغوط من جهاز الأمن، أن الانتخابات ستؤدي إلى تقوية حماس في الضفة. وحماس غضبت لأن فوزها المتوقع تسرب من أيديها فقررت تسخين الاحتكاك مع إسرائيل على نار هادئة.

2- أحداث شهر رمضان القابلة دائما للانفجار وتشكل بؤرة احتكاك بين اليهود والعرب.

3- تعيين كوبي شبتاي، عديم التجربة والخبرة في المجالين الشرطي المدني والسياسي، في منصب المفتش العام للشرطة. شبتاي والقيادة العليا في الشرطة، الذين فشلوا ولم ينجحوا في منع الكارثة في جبل ميرون، قرروا صرف الانتباه الجماهيري - السياسي بواسطة القوة، وانطلقوا إلى محاربة الشباب الفلسطينيين في شرقي القدس. وقد أمروا بوضع الحواجز في باب العامود، الأمر الذي رفع نسبة التوتر وأدى إلى أحداث عنيفة، امتدت إلى المسجد الأقصى. ورأى الصحفي ميلمان أن شبتاي وقائد لواء القدس، المفتش دورون ترجمان، أدركا بشكل متأخر، كالعادة، الخطأ الحاصل. وبمساعدة الضغط من الشاباك قررا إزالة الحواجز. ثم إن إزالة

الحواجز أثارت الارتباك واعتبرت كضعف في نظر حماس وفي نظر الشباب في شرقي القدس الذين ملوا من قيادة السلطة الفلسطينية المستخزية والفاسدة.

في موازاة ذلك، شبثاي المتعرج، الذي شعر بأنه مدين لوزير الأمن الداخلي أمير اوحانا الذي قام بتعيينه، عاد إلى سابق عهده. فقد قرر أن مسيرة الاعلام، وهي مسيرة اليمين المتطرف التي كل هدفها إثارة الاستفزاز، ستمر بالذات من باب النزاع، باب العمود، وكل حدث من هذه الأحداث بحد ذاته كان يمكن أن يفسر كأمر غير ضار أو غير خطير. ولكن عندما تجتمع الأحداث معا مثل حلقات في سلسلة، فيجب أن يكون المرء غيبا كي لا يفهم كيف يمكن أن تنتهي الأمور.

أحد الاخفاقات الكبرى التي أدت إلى قرارات خاطئة والتي نهايتها مسيرة الحماقة هو سلوك القطيع. فعلى رأس جهاز الأمن يقف الآن رئيس الأركان افيف كوخافي، رئيس الموساد يوسي كوهين والمفتش العام للشرطة، الذين دائما في أوضاع الأزمة يتبنون لغة واحدة هي لغة القوة والبطش. كما أن محللين مثل عاموس يادلين، الذين هم جزء من دم ولحم جهاز الأمن، ومراسلين مخضرمين أيضا، يرصون الصفوف ويستخدمون اللغة نفسها - "يجب ضربهم بكل قوة"، و"الردع تآكل" وما شابه من عبارات.

الكاتبة توخمان تذكر على الأقل شرطين من أجل اعتبار السياسة سياسة غيبية. الشرط الأول، عندما تظهر نتائجها السلبية بصورة واضحة في الزمن الحقيقي، وليس فقط في رؤيا ما بعد الحدث. والشرط الثاني، أن يكون هناك طريقة عمل بديلة يمكن اتباعها. ونحن لسنا بحاجة إلى خبراء أمن من أجل رؤية نتائج مسيرة الحماقة في كل دقيقة أثناء تشكلها. والبدائل التي كان يمكن لاستخدامها منع هذا السلوك الغبي هي بدائل معروفة: الدفع قدما بالمفاوضات مع السلطة الفلسطينية، ووقف التتكيل بالفلسطينيين في الضفة وتطبيق برنامج اقتصادي دولي لإعادة إعمار غزة.

في ظل توالي الدعوات الدولية لاحتواء التصعيد في القدس المحتلة، مع استمرار الاعتداءات على أهالي المدينة المقدسة، أطلق الجيش الإسرائيلي مناورة عسكرية واسعة تحاكي حرباً على حزب الله في الشمال وحركة حماس في الجنوب. وفي أوج التوتر المتصاعد لأسابيع في القدس الشرقية والضفة الغربية، وتحذيرات السلطة الفلسطينية من الغرق في حرب دينية، بدأ الجيش الإسرائيلي بإجراء أكبر مناورة في تاريخه، والتي تحاكي حرباً شاملة على جميع الجبهات من الشمال إلى الجنوب. وأفادت «القناة 13» العبرية بأن المناورة

ستحاكي حرباً شاملة ضد «حزب الله» وحركة «حماس»، مع إطلاق مكثف للصواريخ من جميع الساحات على الجبهة الداخلية. وأشارت القناة إلى أن هذه المناورة كان مخططاً لها مسبقاً، وستستمر لمدة شهر واحد، موضحة أن رئيس أركان الجيش الإسرائيلي أفيف كوخافي قرر عدم إلغاء أو تأجيل هذه المناورة، على الرغم من التوترات في القدس والساحة الفلسطينية، ومشيرة إلى أن حالة اليقظة والتأهب ستبقى كما هي تجنباً لأي سيناريو. وبرغم استمرار الصدمات العنيفة بين المتظاهرين الفلسطينيين والشرطة الإسرائيلية، وتساعد الإدانات الدولية لعمليات الإخلاء المزمعة لفلسطينيين من منازلهم في حي الشيخ جراح، لصالح مستوطنين يهود، ألقى رئيس الوزراء المنتهية ولايته بنيامين نتنياهو قفاز التحدي وأعلن رفضه بشدة الضغوط الرامية لمنع البناء في القدس. وقال نتنياهو: «شهدنا بالأيام الأخيرة اضطرابات عنيفة في القدس، ولن نسمح لأي جهة متطرفة بزعزعة النظام العام في المدينة، وسنواصل صون حرية العبادة، ولكن لن نسمح بالقيام بأعمال شغب عنيفة».

في السياق أعلنت الغرفة المشتركة لعمليات المقاومة في بيان لها أنه ونصرة للمدينة المقدسة ورداً على جرائم الاحتلال بحق أهلها، واستجابةً لصرخات أحرارها وحرانها، تمكنت فصائل المقاومة الفلسطينية في إطار الغرفة المشتركة وضمن معركة «سيف القدس» من توجيه ضرباتٍ للاحتلال. وأضافت الغرفة: "افتتحت العمليات بضربة صاروخية للقدس المحتلة واستهداف مركبة صهيونية شمال القطاع، تلاها قصف صاروخي مكثف استهدف محيط تل أبيب ومواقع العدو في المدن المحتلة ومغتصابات ما يسمى غلاف غزة". وأكدت الغرفة المشتركة لفصائل المقاومة الفلسطينية في بيانها على التالي:-

أولاً/ نقول للعدو بأننا سبق وإن حذرناه من التمادي في عدوانه على مقدساتنا وأبناء شعبنا، لكنه استمر في غيّه بلا وازعٍ ولا رادع، لذا فقد آن الأوان له أن يدفع فاتورة الحساب.

ثانياً/ لقد راكمنا قوتنا لحماية أبناء شعبنا في كل مكان ولن نتخلى عنهم مهما كانت التبعات، فسلحنا هو سلاح لكل شعبنا أينما كان.

ثالثاً/ ليعلم العدو الجبان بأن عهد الاستفراء بالقدس والأقصى قد ولى إلى غير رجعة.

رابعاً/ نطمئن أبناء شعبنا عامةً وفي القدس خاصةً، بأن المقاومة التي راهنتم عليها لن تخذلكم وستبقى درعكم وسيفكم.

في المقابل قالت الصحافية الإسرائيلية شمريت مئير، في صحيفة "يديعوت أحرنوت" إن إسرائيل ستدفع ثمناً باهظاً لما يحدث الآن في قطاع غزة. وأضافت: إننا نحب أن نقول أشياء مثل أن حماس ستستغرق نصف عام، أو عامًا أو عامين لإعادة تأهيل قدراتها التي دمرها الجيش الإسرائيلي، لكن في المقابل كم سنستغرق نحن من الوقت لإعادة تأهيل ما فعلته صواريخ حماس هنا؟. وشددت بالقول "نحن ندفع ثمناً باهظاً لما يحدث الآن في غزة: أضرار على الجبهة الداخلية، والاقتصاد، والسياسة، وصورة إسرائيل، والوضع الداخلي - أشياء سيستغرق إصلاحها سنوات وبعضها غير قابل للإصلاح على الإطلاق - كل هذا من أجل معاندة محمد الضيف". وأضافت إنه "في الجولة العسكرية الحالية، وعلى الرغم من سلسلة الاغتيالات وصور الدمار من قطاع غزة، إلا أن حماس لها اليد العليا". وأضافت: "حماس حققت سلسلة من الإنجازات التي يمكنها التباهي بها، كإطلاق الصواريخ على منطقة القدس المحتلة؛ وإطلاق مئات الصواريخ دفعة واحدة على منطقة تل أبيب، وإغلاق مطار بن غوريون أمام الرحلات الجوية". وعلى المستوى الاستراتيجي، حصلت حماس على ما تريده: "ففي نظر الفلسطينيين بالقدس والضفة الغربية، يُنظر إليها الآن على أنها حارس القدس والمسجد الأقصى، في تناقض صارخ مع السلطة الفلسطينية وفتح، اللتين ينظر إليهما على أنهما تتعاونان مع إسرائيل". لقد تسببت الانتهاكات الإسرائيلية في مدينة القدس، ومحاولات بسط السيادة الكاملة عليها، بانتقال التوتر إلى قطاع غزة، واندلاع جولة القتال الأخيرة.

2 - خصوصيات المعركة:

تميزت معركة "سيف القدس" بمميزات خاصة ترمز إلى أهميتها الاستراتيجية والتكتيكية وأهمها ما يلي:
 أولاً: معركة "سيف القدس"، هي الحرب الأولى فلسطينياً التي تُقرر المقاومة الفلسطينية المبادرة بالحرب فيها، وتحدد ساعة الصفر لانطلاقها، وهي الحرب الثانية عربياً بعد حرب تشرين الأول 1973 م التي يبدأ بها العرب، وجميع الحروب الأخرى كانت بمبادرة الكيان الصهيوني ابتداء من حرب النكبة والعدوان الثلاثي والنكسة، وانتهاء بحروب غزة الثلاثة وآخرها حرب 2014م، ومروراً بحرب لبنان الأولى عام 1982 م، وحرب لبنان الثانية عام 2006 م، إضافة لعشرات المعارك والعمليات العسكرية الأخرى، وهذه المبادرة بالحرب

للمقاومة الفلسطينية بجناحيها الأساسيين : حماس والجهاد، تعني تراجع الردع الإسرائيلي، وزيادة الثقة بالنفس، وشجاعة قرار الحرب.

ثانيا: معركة "سيف القدس"، هي الحرب الأولى التي تخوض فيها المقاومة الفلسطينية في قطاع غزة الحرب لأسباب غير متعلقة بالوضع الميداني الغزوي كالعُدوان العسكري والحصار الاقتصادي، وغير ناتجة بتدريج الأحداث المتبادلة بين المقاومة والاحتلال، بل اندلعت بسبب أهم مفردات القضية الفلسطينية، وهي القدس والمسجد الأقصى، باعتبارها قضية إجماع وطني فلسطيني، بعد تواصل انتهاكات المستوطنين لحرمة المسجد الأقصى وتخطيطهم لاقتحامه، وتواصل بطش جيش الاحتلال واستباحة الدم الفلسطيني في باحات المسجد الأقصى وعلى أبوابه، طوال شهر رمضان المبارك. وهذا يدل على أن المقاومة الفلسطينية برغم اهتمامها بتوفير الحياة الكريمة لشعبها وحاضنتها لدعم صمودهم، فإنها تضع في أولوياتها القضية الوطنية بكل مفرداتها: القدس والتحرير والعودة وغيرها.

ثالثا: معركة "سيف القدس"، باسمها وأسبابها وهدفها، تدل على أن القدس هي مركز الصراع بين الكيان الصهيوني من جهة والشعب الفلسطيني والأمة العربية والإسلامية من جهة أخرى، وهي تلخص طبيعة الصراع الإحلالي الاستيطاني من خلال ما يحدث في حي الشيخ جراح من محاولات طرد وتفرغ الحي من سكانه الفلسطينيين لإحلال وتوطين مستوطنين يهود مكانهم. وهي تلخص طبيعة الصراع الديني الحضاري من خلال ما يحدث في المسجد الأقصى وبيت المقدس وأكنافهما، من محاولات السيطرة الجغرافية ماديا وفعليا، ومحاولات السيطرة التاريخية معنويا ورمزيا، لتكون الرواية الجغرافية والتاريخية رواية يهودية صهيونية... وهذه التسمية والأسباب والأهداف لمعركة (سيف القدس) تدل على محورية الصراع في القدس وأكنافها بين الحق والباطل.

رابعا: معركة "سيف القدس"، بعنوانها ومضمونها، المتمحور حول القدس، عنوان وحدة فلسطين، ومضمون الوحدة تتجسد في وحدة الشعب والأرض والقضية، فالشعب توّحد خلف القدس وسيفها في كافة أماكن تواجد، لا سيما في فلسطين المحتلة، لا فرق بين سكان قطاع غزة رغم معاناة الحصار وآلام العقوبات، وبين سكان الضفة رغم معاناة الاحتلال والاستيطان وبتش أجهزة التنسيق الأمني، وسكان الأرض المحتلة عام النكبة رغم معاناة التمييز العنصري ومحاولات الأسرلة، ووهم المواطنة، وأكذوبة التعايش في (مجتمع إسرائيلي) واحد!.

ووحدة الأرض الفلسطينية التي رسمت معالمها صواريخ المقاومة من شمال فلسطين إلى جنوبها، ووحدة القضية الفلسطينية كقضية تحرير وعودة واستقلال محورها القدس.

خامساً: معركة "سيف القدس"، أنهت الجدل العقيم حول مهزلة الانتخابات من جانبين: أولهما وهم السيادة على القدس الذي من أجله أُلغيت الانتخابات بعد رفض الاحتلال لإجرائها في القدس، فجاءت المقاومة الشعبية من أهل القدس وفلسطين المحتلة عام النكبة، لتقول أن السيادة على القدس تفرضها المقاومة وليس الانتخابات، فتُعدّل خط سير (مسيرة الأعلام) للمستوطنين، ثم لتأتي صواريخ المقاومة من غزة فوق رؤوس المستوطنين لتفرض على الاحتلال والمستوطنين إلغاء المسيرة فوراً والهروب بطريقة مُدّلة. وثانيها وهم الشرعية عبر الانتخابات تحت الاحتلال لتعيد الشرعية إلى أصلها المنتزع بالمقاومة والدم والعرق، فالشعب يُعطي الشرعية للمقاومة في مرحلة التحرير الوطني.

سادساً: معركة "سيف القدس"، حتى الآن بما تبين من القدرة على اتخاذ قرار الحرب، وإدارتها بتنظيم وانضباط وهدوء، وتطور قدراتها الصاروخية كماً ونوعاً ومسافة واستمرارية، تُعتبر محطة تحول كبرى مفصلية في تاريخ الصراع بين الكيان والأمة عامة، وبين الكيان والمقاومة خاصة، فقد تجاوزنا مرحلة الانتصارات الإسرائيلية في الحروب الثلاثة الأولى: النكبة والعدوان الثلاثي والنكسة، وتجاوزنا مرحلة اختلاط النصر بالتعادل والهزيمة للكيان في حربي أكتوبر ولبنان الأولى، وتجاوزنا المرحلة الثالثة التي حققت فيها المقاومة الإنجازات من خلال الدفاع، فأخرجت الجيش والمستوطنين من غزة عام 2005، وأخرجت الجيش من لبنان مدحوراً مذعوراً عام 2000، ومنعت الكيان الصهيوني من تحقيق النصر في حروب غزة الثلاثة، إيداناً ببدء المرحلة الرابعة بانطلاق الصلابة الأولى من صواريخ المقاومة من غزة فوق رؤوس المستوطنين المستعدين لاقتحام المسجد الأقصى في القدس، وهي مرحلة المبادرة بالهجوم، أو الآن نغزؤهم ولا يغزونا.

خُلاصة الأمر أن معركة (سيف القدس) تشكل محطة تحوّل كبرى مفصلية في تاريخ الثورة الفلسطينية في صراعها مع مُحتل أرضها ومُهجر شعبها وقاتل أهلها، وفي تاريخ الصراع بين الأمة الإسلامية والكيان الصهيوني، وهي مرحلة نغزؤهم ولا يغزونا، بمعنى المبادرة باتخاذ وتنفيذ قرار الحرب التحريرية الشاملة في محطة إساءة وجوه بني إسرائيل في حروب المقاومة، وهو الممر الإجباري والتمهيدي لمحطة دخول المسجد الأقصى وتبوير علو دولة الإرهاب والإفساد،

3 - تسلسل الأحداث:

تفجرت الأحداث في الأراضي المحتلة مساء يوم الجمعة الواقع في 7 أيار 2021 بعدما اقتحم آلاف من جنود الشرطة الإسرائيلية باحات المسجد الأقصى واعتدوا على المصلين مما أسفر عن إصابة أكثر من 205 فلسطينيين في المسجد وباب العامود والشيخ جراح. كما وقعت مواجهات عنيفة صباح يوم الاثنين 10 ايار 2021 بعد اقتحام آلاف من أفراد الشرطة الإسرائيلية المسجد الأقصى وأسفرت عن إصابة أكثر من 331 فلسطينيا بينهم 7 حالات خطيرة للغاية ومسعفون وصحافيون في المسجد ومحيط البلدة القديمة. ويوم العاشر من شهر أيار 2021 كان يوماً تاريخياً في الصراع مع الاحتلال الإسرائيلي، حيث حددت حركة حماس وقوى المقاومة للاحتلال توقيت الساعة 18 مساءً ليتوقف عن عمليات اقتحام المسجد الأقصى المبارك وترحيل أهالي حي الشيخ جراح في القدس. لكن الاحتلال حاول المناورة فنفذت المقاومة تهديدها. والاحتلال كعادته رد باستهداف المدنيين في قطاع غزة، فردت المقاومة وتصاعد الموقف إلى أن وصلت الامور إلى ما وصلت إليه .

في 11 أيار 2021، أقدم مسلح إسرائيلي على قتل شاب فلسطيني من مدينة اللد داخل الخط الأخضر وأصاب آخرين بجروح فاندلعت احتجاجات واشتباكات أخرى في مدينة اللد حتى فرضت الشرطة الإسرائيلية حظراً للتجوال في المدينة اعتباراً من الساعة الثامنة من مساء 12 ايار. وهاجم «متطرفون إسرائيليون» في حوالي التاسعة مساءً فلسطينيين في عددٍ من المدن على رأسها طبريا وحيفا واللد ويافا، حيث اعتدوا بالضرب على فلسطينيين في مناطق متفرقة كما كسروا بعض المحال التجارية وخربوا أخرى وسط حماية من قوات الاحتلال. وفي بات يام، هاجم «متطرفون إسرائيليون» المتاجر العربية واعتدوا بالضرب على المارة، كما تعرض سائق دراجة نارية للضرب في الشارع بعد أن ظنوه عربياً. وفي 13 ايار 2021، اندلعت في التاسعة مساءً مواجهات جديدة بين الشرطة الإسرائيلية وشبان من فلسطيني الداخل في مدينة حيفا. وفي 14 ايار قتل الجيش الإسرائيلي والمستوطنون الإسرائيليون 11 فلسطينياً في الضفة الغربية (وفقاً لوزارة الصحة الفلسطينية)، ليرتفع العدد الإجمالي للشهداء الفلسطينيين في الضفة الغربية منذ 10 ايار إلى 13 فلسطينياً على الأقل.

في 13 ايار 2021، أطلقت ثلاثة صواريخ من مخيم الرشيدية للاجئين الفلسطينيين في لبنان عبر الحدود اللبنانية، وسقطت في البحر الأبيض المتوسط. ونفى حزب الله مسؤوليته عن إطلاق الصواريخ وانتشرت قوات الجيش اللبناني في مخيم اللاجئين وعثرت على عدة صواريخ هناك. وفي يوم الجمعة الموافق 14 ايار 2021 انطلقت مظاهرة من الأردن مع دخول مئات المتظاهرين الأردنيين، الأراضي الفلسطينية لأول مرة. وخلال بضعة اسابيع من المواجهة مع الاحتلال قصفت المقاومة بالصواريخ بكثافة عددا من أهم المدن الصهيونية مثل "تل أبيب"، وغطت صواريخها كامل الأراضي الفلسطينية المحتلة وعطلت الحياة داخل المجتمع الإسرائيلي ووضعت ثلاثة ملايين مستوطن في الملاجئ، وثلت المرافق العامة، وعطلت الملاحة الجوية، وألحقت أضرارا كبيرة بالاقتصاد والبورصة والقطاع السياحي.

المقاومة الفلسطينية أطلقت رشقات متواصلة من الصواريخ على أهم المدن والمستوطنات، فأدخلت الرعب في قلوب المستوطنين، وكشفت هشاشة منظومات الدفاع كالقبة الحديدية، وأفقدت المجتمع الصهيوني الشعور بالأمن والاستقرار كما أفقدته الثقة بالحكومة والمؤسسة العسكرية والأمنية، خاصة بعدما فشل الاحتلال في صد الصواريخ أو تنفيذ عملية برية أو تحقيق إنجاز عسكري مهم أو حماية مجتمعه أو طمأنته.

إنجازات كتائب القسام وقوى المقاومة في فلسطين ترافقت مع تحولات نوعية في عدة محاور، فقد تواصلت الانتفاضة في القدس، وعزز أهالي حي الشيخ جراح موقفهم الصمودي المتميز، وانطلقت انتفاضة شعبية عارمة في عشرات المدن والقرى الفلسطينية المحتلة منذ عام 1948 بشكل لم يحصل مسبقا، وتصدى الفلسطينيون لشرطة الاحتلال واعتداءات المستوطنين، وأعلنوا دعمهم الواضح للقدس والأقصى والمقاومة، وشكل هذا التطور تحولا نوعياً في مسيرة الصراع، وأفقد الاحتلال توازنه والقدرة على التعامل معه. ثم جاءت انتفاضة الفلسطينيين في الضفة الغربية التي ثارت بشكل جماعي في مختلف المدن، وقدمت عددا من الشهداء وتكاملت مع صمود غزة وانتفاضة القدس والـ 48 وأربكت الاحتلال. وفي الجانب الآخر حاول الفلسطينيون في لبنان والأردن اختراق الحدود، وتظاهروا على السياج، وأطلقت صواريخ من لبنان وسوريا. وتظاهر الفلسطينيون في أوروبا وكندا وأمريكا بشكل كبير. وترافق هذا مع حراك شعوب عربية وإسلامية دعمت المقاومة والانتفاضة. وبرز موقف دولي حمل الاحتلال المسؤولية عما وصلت إليه الأمور، وصدرت عدة مواقف رافضة لاقتحام الأقصى أو ترحيل أهالي حي الشيخ جراح. وحققت المقاومة والشعب الفلسطيني

إنجازات مهمة من خلال الصمود والتضحيات التي قدموها، وشاهد العالم الاحتلال الإسرائيلي وهو يرتكب جرائمه ضد الإنسانية بشكل مباشر على الهواء مستهدفا المدنيين والمرافق الحكومية والأحياء السكنية المدنية حيث سقط الكثير من الشهداء الأبرياء. كما حقق الفلسطينيون انتصارات إعلامية والعالم يشاهد صمود الشباب في القدس وبسالة أهالي حي الشيخ جراح، وتضحيات أهالي غزة، وتدمير الأبراج التي تحتوي على مقرات وسائل الإعلام الدولية.

بعد أسابيع من عملية (سيف القدس) ظهر الاحتلال الإسرائيلي ضعيفا فاشلا، يقصف أهدافا مدنية فقط، عاجزا عن التوغل البري، أو وقف الصواريخ، أو حماية المستوطنين، أو منح الثقة للمجتمع الاستيطاني، وظهر للاحتلال الإسرائيلي أن كل خياراته السياسية والعسكرية فاشلة وعديمة الجدوى. بالتالي تمكن الفلسطينيون والمقاومة بعد العملية من وضع القضية الفلسطينية على قائمة اهتمامات العالم، وأسقطوا محاولات الاحتلال تهويد القدس أو تغيير طابع المسجد الأقصى المبارك، وتوحد الشعب الفلسطيني في الداخل والخارج حول مشروع المقاومة. وضربوا الاحتلال في العمق، وكشفوا ضعف وهشاشة الاحتلال، وأسقطوا صفقة القرن وكل مشاريع التسوية، وأظهروا فشل مشروع التنسيق الأمني وخيار التطبيع، وأن الشعوب ترفض الاعتراف بالاحتلال وتدعم المقاومة، وظهرت السلطة الفلسطينية ضعيفة وعاجزة ومهمشة سياسياً ودبلوماسياً وشعبياً، حتى على الصعيد الدولي، وأن قيادتها لا تحظى باحترام وثقة الفلسطينيين، وأن هؤلاء يتقنون بحماس والقسام ومحمد الضيف. وأكد الفلسطينيون والمقاومة أن ذكرى النكبة هذا العام حملت بشائر التحرير والعودة وإزالة الاحتلال.

ما بين مطالب غزة، وتحديدًا في ما يتعلق بالقدس، وتعنّت إسرائيل في رفض التلبية العلنية لها، وربما غير العلنية أيضاً كما يبدو، تشير أرجح التقديرات الى أن المعركة ستتواصل لاحقاً بعد وقف إطلاق النار، لكن عبر أدوات ووسائل قتالية غير عسكرية. فمن ناحية إسرائيل، ستسعى إلى إفهام الفلسطينيين أن نتيجة القتال العسكري لا تؤثر في قراراتها وأهدافها الموضوعية للقدس والحرم القدسي، سواءً تراجعت عملياً عن هذه الإجراءات أم لئنت من قساوتها على المقدسيين. ومن ناحية فصائل المقاومة في غزة، ستكون معنيّة بتظهير جاهزيتها لمعاودة القتال، إن عاودت إسرائيل اعتداءاتها في القدس. والمعادلة هنا غير مكتملة، وتخضع لاحقاً، في محدّداتها، لظروف الطرفين ومحفّزاتهما، كما تتحدّد وفقاً للمتغيّرات المقبلة، وما إن كانت للمواجهة

الحالية نفسها، بمعنى نتائجها المادية وغير المادية في وعي صاحب القرار، في تل أبيب كما في غزة، دور رئيس في تحديد واقع اليوم الذي يلي، وقواعد اشتباكه.

لاشك بأن نتيجة القتال ستؤثر في حدة الحصار على قطاع غزة، حيث من المرجح أن يتوصل الطرفان، عبر الوسطاء والأطراف الثالثة، إلى تليين الحصار وخرقه في أكثر من اتجاه. ذلك أن الأدبية التي لحقت بإسرائيل في هذه الجولة، والتي كانت مرشحة للتضاعف لو تواصلت المعركة، إضافة إلى مطالبة الفصائل بما يزيد في مستواه عن حصار غزة، والمقصود هنا القدس، كلاً عوامل ستمكّن الفلسطينيين من انتزاع قرارات قد تكون ملحوظة إزاء الحصار وشدته. وما حديث القاهرة عن مساعدة تصل إلى نصف مليار دولار لغزة، سواء تحققت بالفعل أم لم تتحقق، إلا إشارة إلى أن إغراء القطاع بالفائدة الاقتصادية سيكون جزءاً من الوسائل القتالية غير العسكرية، لدفع الفصائل إلى التراجع عن معادلة «غزة - القدس»، كما كانت تريدها، حاسمة وكاملة ومكتوبة في متن اتفاق وقف إطلاق النار، وهو ما سُمي شرط «ضمانات» بالتزام إسرائيل بالتراجع عن إجراءاتها في القدس، أو العودة إليها لاحقاً.

لقد تبين بعد مرور هذا الوقت الطويل من القتال أنه لم يعد للعملية العسكرية أي فائدة بالنسبة إلى إسرائيل، إلا فيما يتعلق بأهداف ترتبط بالمخارج السياسية للمواجهة، وما دون ذلك تفاصيل لا تدفع إلى استمرار القتال. فلقد أنجز جيش الاحتلال مهمة «تدفيع الثمن» لغزة عبر إيذاء المدنيين فيها وتدمير البنية التحتية المدنية، في محاولة للتعويض عن الإخفاق في مواجهة المقاتل الفلسطيني عسكرياً، في محاكاة تكاد تكون كاملة لاستراتيجيات النازية في المناطق التي كانت تحتلها، إذ أرادت تل أبيب، إضافة إلى إرادة القتل لذاتها، أن يفهم صاحب القرار في غزة أن بدء مواجهة لاحقة مع إسرائيل، مهما كان سببها، أو الرد على اعتداءاتها، سيؤدي إلى الإضرار بالمدنيين الفلسطينيين على نطاق واسع، وهي معادلة يأمل الإسرائيلي أن تردع غزة، أو تحد من دافعيتها، إن أرادت، لاحقاً، تعزيز معادلة «غزة - القدس».

في المحصلة، النشاط العسكري للجانبين يرتبط بالنتائج والمخارج السياسية، لكن لا يمكن لأحد، بما يشمل الإسرائيليين، إنكار المكاسب الفلسطينية المحققة، وتلك التي يمكن تحقيقها بناءً عليها، وهي واسعة جداً ومتشعبة، بل ويتعدى حصرها؛ إذ إن هذه المعركة، على خلاف ما قبلها، توسعت نتائجها لتخرج من غزة إلى الضفة والقدس، وكذلك إلى داخل أراضي عام 1948. في اليوم الذي يلي، بل وقبله، سيكون على الإسرائيلي

أن يدرس نتيجة الجولة الأخيرة وتداعياتها على ساحات مواجهة أخرى، وتحديدًا في ما يتعلّق بالجبهة الشمالية، سواء مع لبنان أم سوريا، وصولاً إلى الشرق البعيد. نتيجة الحرب على غزة ستكون حاضرة على طاولة القرار، وبفعالية وتأثير مغايرين لما ظهر في مواجهات سابقة، إنْ لدى تل أبيب، أو لدى جهات القرار في محور المقاومة.

4- ردود الفعل على تفاقم الأحداث:

طلبت الصين والنرويج وتونس عقد اجتماع عام لمجلس الأمن التابع للأمم المتحدة في 14 ايار 2021 إلا أن الولايات المتحدة اعترضت. واجتمع المجلس على انفراد مرتين لكنه لم يتمكن من الاتفاق على بيان بسبب اعتراضات الولايات المتحدة.

في 12 ايار، أعلن عن إرسال هادي عمرو، نائب مساعد وزيرة الخارجية الأمريكية للشؤون الإسرائيلية الفلسطينية والصحافة والدبلوماسية العامة، إلى الشرق الأوسط "على الفور". ولم تُظهر جهود الهدنة التي بذلتها مصر وقطر والأمم المتحدة أي مؤشر على إحراز تقدم. وفي 13 ايار قدمت حماس اقتراحًا لوقف إطلاق النار، قائلة إنها مستعدة لوقف الهجمات على "أساس متبادل". وأبلغ نتنياهو حكومته أن إسرائيل رفضت العرض. ودعا الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيريش إلى وقف فوري لإطلاق النار "احترامًا لروح العيد"، في إشارة إلى عيد الفطر. وفي 17 ايار تلقى سفير فلسطين لدى المملكة المتحدة حسام زملط، رسالة رسمية من إدارة شركة "فيسبوك" و"واتساب" و"انستغرام" أعربت فيها عن اعتذارها لما جاء في الشكوى التي تقدمت بها دولة فلسطين عن تقاعس الشركة عن مسؤولياتها القانونية والأخلاقية في احترام القانون الإنساني الدولي وحق الشعب الفلسطيني في التعبير عن الاضطهاد الذي يتعرض له، والنضال من أجل إنهائه. وأقرت الرسالة بأخطاء الشركة في التعامل مع مستخدمي منصات التواصل الاجتماعي من الفلسطينيين، وحذف منشورات وإغلاق حسابات بسبب استخدام كلمات مثل الأقصى المبارك. وأكدت الرسالة نية الشركة تصحيح هذه الأخطاء. كما استدعت الكويت سفير تشيكيا احتجاجًا على نشره صورة مؤيدة لإسرائيل، مطالبة بترحيله بعد قيامه بنشر ملصق على الإنترنت، ما دفعه للاعتذار بعدما استدعته وزارة خارجية الدولة الخليجية لتقديم احتجاج. وبحسب البيان، فإن "ذلك التصرف المرفوض وما يشكله من إساءة بالغة للمشاعر في دولة الكويت على المستويين الرسمي والشعبي لا يتناسب وطبيعة الوظيفة الدبلوماسية". من

ناحية اخرى أصدرت وزارة الخارجية والمغتربين الفلسطينية بيانًا طالبت فيه «مجلس الأمن بتوفير الحماية للشعب الفلسطيني المظلوم، مؤكدة أن ذلك ليس امتيازًا أو منّة، وإنما واجب وحق مشروع لشعب تحت الاحتلال، يواجه أشكال البطش والجرائم التي عبرت عنها الجنايات الدولية وتعاملت معها كجرائم حرب وجرائم ضد الانسانية»، كما دعت مجلس الأمن الدولي إلى تحمل مسؤولياته القانونية والأخلاقية تجاه الشعب الفلسطيني. وأدانت الوزارة في بيانها «الاعتداءات الوحشية المتواصلة التي ترتكبها شرطة الاحتلال على مدار الساعة ضد المواطنين المقدسيين، في محاولة لتفريغ باحات المسجد الأقصى المبارك من الفلسطينيين وإحكام الاستيلاء عليه، لكسر إرادة الشبان المقدسيين الذين يدافعون عنه»، كما استنكرت الاقتحام الهجمي لباحات المسجد الأقصى، وتحويله إلى «ساحة حرب ومواجهة حقيقية». وأعلنت قيادة المقاومة الفلسطينية منحها الاحتلال الإسرائيلي مهلةً حتى الساعة السادسة مساءً لسحب قواته من المسجد الأقصى، حيث قال المتحدث الرسمي الإعلامي لكاتب الشهيد عز الدين القسام أبو عبيدة: «إن قيادة المقاومة في الغرفة المشتركة تمنح الاحتلال مهلةً حتى الساعة السادسة من مساء اليوم لسحب جنوده ومغتصبيه من المسجد الأقصى المبارك وحي الشيخ جراح، والإفراج عن كافة المعتقلين خلال هبة القدس الأخيرة، وإلا فقد أعذر من أنذر»، كما أعلنت كتائب المقاومة الوطنية أنها حسمت خياراتها وستكون لها كلمة الفصل، ردًا على مجريات الأحداث في القدس والأقصى. من ثم خرجت مسيرات فلسطينية شعبية كبيرة ردًا على مواجهات القدس، شملت عددًا من المدن الفلسطينية ومنها نابلس والخليل ورام الله وبيت لحم وقلقيلية، حيث دارت مواجهات عنيفة بين الفلسطينيين والجيش الإسرائيلي. وتذكر المصادر أنه قد سُجل عددٌ من الإصابات بالاختناق والرصاص المطاطي والحي، كما اعتُقل عددٌ من الشبان. وأعلن الرئيس الفلسطيني محمود عباس في 10 ايار 2021 إلغاء مظاهر عيد الفطر كافة، وتنكيس الأعلام والحداد. كما أصدر بيانًا قال فيه إن "الاقتحام الوحشي والاعتداء على المصلين في المسجد الأقصى المبارك وساحاته يشكل تحديًا جديدًا للمجتمع الدولي".

في 9 أيار 2021، أجلت المحكمة العليا الإسرائيلية القرار المتوقع بشأن عمليات الإخلاء لمدة 30 يومًا، بعد تدخل المدعي العام، أفيخاي ماندلبليت. ودافع رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو عن أفعال الشرطة الإسرائيلية وقال إن إسرائيل "لن تسمح لأي عنصر راديكالي بتقويض التهدئة". وقال أيضا "نرفض بشدة

الضغط لعدم البناء في القدس". وأعلن مجلس الوزراء الإسرائيلي في 10 ايار 2021 اتفاقه على شن عملية عسكرية على قطاع غزة ردًا على إطلاق الصواريخ.

من ناحية أخرى أعرب رئيس الوزراء البريطاني بوريس جونسون عن قلقه الشديد "إزاء التوترات في إسرائيل وقطاع غزة" مؤكداً "دعم بريطانيا لحل الدولتين". وفي فرنسا وصف حزب الخضر المعارض سياسة الإستيطان الصهيونية بالاستعمار وتهديد أمن الشرق الأوسط. والمانيا من جهتها اصطفت إلى جانب الولايات المتحدة، زاعمةً أن "من حق إسرائيل الدفاع عن نفسها".

أما الموقف العربي فكان خجولاً جداً، وكأنه عاش في غيبوبة تامة عن الأحداث، وكان بيان وزراء الخارجية العرب الصادر عن الجامعة العربية مجرد رفع عتب ودون المستوى المطلوب ولو استثنينا بعض التظاهرات الشعبية في بعض العواصم العربية لتبين لنا أن العرب كانوا في وادٍ سحيق غابوا فيه عن نصره شعب فلسطين. في حين رأى المرشد الأعلى للجمهورية الإسلامية الإيرانية، السيد علي خامنئي "أن الصهاينة لا يفهمون سوى لغة القوة، ولهذا على الفلسطينيين أن يزيدوا قوتهم ومقاومتهم لإجبار المجرمين على الاستسلام ووقف أعمالهم الوحشية". وأشاد أمين عام منظمة التعاون الإسلامي يوسف بن أحمد العثيمين، بصمود الشعب الفلسطيني، والدفاع عن القدس المحتلة ومواجهة الاعتداءات الصهيونية. ودان رئيس الوزراء الماليزي محي الدين ياسين، ضربات العدو الجوية على قطاع غزة، مؤكداً الوقوف إلى جانب الشعب الفلسطيني، وطالب المجتمع الدولي لوقف الاعتداءات الوحشية الصهيونية. وعبر أمين عام الأمم المتحدة انطونيو غوتيريش عن حزنه الشديد إزاء الأعداد الكبيرة المتزايدة من الخسائر البشرية لما فيها الأطفال جراء الضربات الجوية "الإسرائيلية" في غزة، ودعا المتحدث باسم الأمم المتحدة ستيفان دوجاريك الكيان الصهيوني إلى ممارسة أقصى درجات ضبط النفس، كما طالب الفلسطينيون بوقف إطلاق الصواريخ على المراكز السكنية الصهيونية. ودانت كوبا الاعتداءات الصهيونية على المسلمين في المسجد الأقصى والقدس وعلى قطاع غزة مؤكدة رفضها للهجمات الصهيونية وإدانتها لها. ودعا الرئيس التركي رجب طيب أردوغان إلى "ضرورة تلقين المجتمع الدولي الإسرائيلي درساً حازماً وردعاً للعنوان على الأقصى وغزة".

على صعيد كيان العدو لوحظ حالة إرباك وخلافات بين القيادات السياسية والعسكرية، لما آلت إليه الأمور، متهمَةً بنيامين نتنياهو بالتسبب بما حصل والهروب إلى الأمام لعرقلة تشكيل حكومة جديدة وهذا ما عبر عنه

وزير خارجية العدو السابق، أفينغور ليبرمان، الذي هاجم نتتياهو قائلاً: "الهدف الاستراتيجي للعملية ضد غزة هو تحسين صورة نتتياهو أمام الجمهور، وهو سيحاول إطالة العملية العسكرية لإفساد تشكيل الحكومة، فننتياهو يتلاعب بالجيش، ومن الناحية الأمنية كشف عورتنا الداخلية أمام حركة حماس". واعتبر مركز المعلومات "الإسرائيلي" لحقوق الإنسان في الأراضي المحتلة "بتسليم" أن "إسرائيل ترتكب جرائم حرب في قطاع غزة، ولا بد للمجتمع الدولي بالتدخل لوقفها فوراً". وقال: "إسرائيل أطلقت حملتها "حارس الأسوار" على المراكز السكانية المكتظة في غزة وهدمت المنازل والأبراج التي تأوي عشرات العائلات، وحجم عمليات القتل كان غير مسبوق". واعترفت جريدة هآرتس الصهيونية أن الخسائر كل ثلاثة أيام في الكيان تبلغ 912 مليون دولار، ناهيك عن تعطل حركة التجارة وهبوط البورصة، وتوقف معظم المؤسسات وأعمال البناء وبعض المطارات وبعض خطوط القطارات والمصانع بفعل صواريخ المقاومة. وختمت "إننا نتعرض لحرب لسنا من يديرها وبالتأكيد ليس من ينيهاها، بخاصة في المدن العربية (بالداخل الفلسطيني المحتل) التي فاجأت الجميع، وهذا نذير شؤم على الدولة".

وكان الحدث الأبرز في المواجهة مشاركة أبناء الشعب الفلسطيني في مناطق ال 48 ضد الاحتلال، والتضامن والدعم للمقاومة في غزة، وللقدس والأقصى وللشيخ جراح والضفة المحتلة. الخلاصة التي أفضت إليها المعركة هي أن المقاومة أثبتت حضورها الفاعل ميدانياً، وقدرتها على قلب الطاولة، ورسم معالم جديدة للمرحلة الراهنة والمقبلة، وهي التي يمكن أن يعول عليها الشعب الفلسطيني لاستعادة كامل حقوقه، وتحرير كامل ترابه من النهر إلى البحر، وذلك وفقاً للتجارب والوقائع الميدانية، والتفاف الشارع الفلسطيني حولها كإعتراف بصدق نهجها وخيارها الاستراتيجي.

5 - خصوصيات حي الشيخ جراح:

لقد أنشئ حي الشيخ جراح في القدس عام 1956 بموجب اتفاقية وقعت بين وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين «الأونروا»، والحكومة الأردنية، ليستوعب الحي آنذاك 28 عائلة فلسطينية هُجرت من أراضيها عام 1948. والحي الواقع في القدس الشرقية الذي بات تحت سيطرة إسرائيل عقب حرب 1967، سمي بهذا الاسم نسبةً إلى الأمير حسام الدين بن شرف الدين عيسى الجراحي، طبيب صلاح الدين الأيوبي، القائد الذي

تحول إلى رمزٍ لأجيال متعاقبة منذ نحو 900 عام. ويضم الحي كذلك موقعا يقده اليهود المتدينون باعتباره قبر أحد حاخاماتهم القدامى. ويقول المستوطنون الذين رفعوا الدعوى القضائية إنهم اشتروا الأرض من جمعيتين يهوديتين اشترتا الأرض في نهاية القرن التاسع عشر. والفلسطينيون، الذين يشككون في قانونية وثائق المستوطنين، يقيمون في الحي منذ خمسينيات القرن الماضي. بالتالي وقف يعكوف، وهو يهودي متدين لم يكشف عن اسمه كاملا، خارج منزل للمستوطنين يقع وسط منازل الفلسطينيين بالحي وقال لوكالة رويترز "هذا حي يهودي تقليديا... الأردنيون والأمم المتحدة وطنوا لاجئين عربا في هذه المنازل فإذا كان هناك مستوطنون فهم العرب الذين يعيشون هنا". وقال منسق "الائتلاف الأهلي لحقوق الفلسطينيين في القدس"، زكريا العودة، إن الحكومة الأردنية وفرت الأرض، وتبرعت "أونروا" بتكاليف إنشاء 28 منزلا، وإن جميع الأدلة والإثباتات الموجودة في المحاكم تشير إلى أن المستوطنين لا يملكون أي قطعة أرض في حي الشيخ جراح. وأضاف: "أبرم عقد بين وزارة الإنشاء والتعمير والعائلات الفلسطينية عام 1956، ومن أهم شروطه الرئيسة أن يدفع السكان أجره رمزية على أن يتم تفويض الملكية للسكان بعد انقضاء ثلاث سنوات من إتمام البناء".

من أهم الانتهاكات الإسرائيلية التي تسببت بالاحتقان المتفان صدور قرارات قضائية إسرائيلية بإخلاء 12 منزلا فلسطينيا في حي "الشيخ جراح" من قاطنيها وتسليمها للسكان اليهود. وانتشر وسم (هاشتاج) "أنقذوا حي الشيخ الجراح" على مستوى العالم فاستخدمته المغنية البريطانية دوا ليبا والممثلة الحائزة على جائزة الأوسكار فيولا ديفيس للتعبير عن تضامنهما. وفي تشرين الأول من العام الماضي، كانت أصدرت محكمة إسرائيلية حكما لصالح المستوطنين الذين يقولون إن الأسر الفلسطينية تقيم على أرض كانت مملوكة لليهود من قبل. وطعن الفلسطينيون في الحكم أمام المحكمة العليا الإسرائيلية. لكن تأجل النظر في القضية وسط تصاعد التوتر في حي الشيخ جراح الواقع على مسافة تُقطع في بضع دقائق سيرا على الأقدام من باب العمود بالبلدة القديمة، وهو نقطة توتر أخرى في الفترة الأخيرة. وكان الغضب من محاولات طرد الفلسطينيين عاملا رئيسا وراء التوترات في القدس خلال شهر رمضان الفائت والتي امتدت إلى خارج القدس لتتحول إلى أعنف مواجهة بين إسرائيل والفلسطينيين منذ سنوات.

في السياق أعلنت وزارة الخارجية الأردنية، في 29 من نيسان الماضي، عن تصديقها على 14 اتفاقية، وتسليمها إلى أهالي حي الشيخ جراح في القدس الشرقية، عبر وزارة الخارجية الفلسطينية، وهي وثائق جديدة

تضاف إلى مجموعة من وثائق سابقة سلمتها الأردن للجانب الفلسطيني سابقاً، تدعم تثبيت حقوق أهالي الحي بأراضيهم وممتلكاتهم.

من جهة أخرى قالت منظمة "السلام الآن" الإسرائيلية اليسارية، إن رفض طلبات استئناف المحكمة من قبل أصحاب المنازل الفلسطينيين وفرض تهجيرهم بشكل قسري ليس قصة قانونية، إنما قرارات تحمل أبعاداً سياسية. ووصفت المنظمة التهجير في حي الشيخ جراح منذ عقود بأن "محاكم سلطة الاحتلال ليست سوى أداة بأيدي المستوطنين لارتكاب المزيد من جرائم التهجير بحق مجتمع بأكمله واستبداله بالمستوطنات". وفي عام 2009، تمكن محامو العوائل الفلسطينية من الحصول على وثائق عثمانية تنفي مزاعم لجنة "اليهود السفرديم"، وتؤكد صحة وثائقهم بإثبات ملكية الأراضي للفلسطينيين، وتؤكد أن "اليهود السفارديم" موجودون في المنازل وفق استئجار البيوت لا شرائها، إلا أن المحكمة رفضت قبول الوثائق بحجة "أنها وصلت متأخرة". وتلقت 12 عائلة فلسطينية بالحي قرارات بإخلاء منازلها، صدرت عن محكمتي الصلح و"المركزية" الإسرائيلية، وكان آخر تحركات السكان، هو اعتراض أربع عائلات منها إلى المحكمة العليا، أعلى هيئة قضائية في إسرائيل، ضد قرارات طردها من منازلها. ويعتبر الاستيطان أمراً مرفوضاً في قوانين الدول الأوروبية التي تعترف بسلطة القانون الدولي، ما يتيح فكرة مقاضاة الشركات التي تعمل في المستوطنات، ومنها ما سيقام على أراضي الشيخ جراح، في المحاكم الوطنية الأوروبية.

وسط سعي الجمعيات الاستيطانية إلى استصدار حكم محكمة يقضي بإخلاء عائلات فلسطينية من منازلها في حي الشيخ جراح شمالي محافظة القدس، استمرت أزمة الحي بالازدياد، عقب احتجاجات نظمها عشرات الفلسطينيين وحاولت قوات الأمن الإسرائيلية تفريقها بالقوة، وأسفرت عن اعتقال العشرات من الفلسطينيين. وبحسب بيان شرطة الاحتلال، فإن الاعتقال جاء على خلفية ما سمي "سلوك غير منضبط والاعتداء على عناصر الشرطة"، قام به متظاهرون فلسطينيون في الحي الذي يشهد احتجاجات يقودها أهالي الحي وناشطون يصلون لمساندتهم ضد أوامر إخلاء منازل السكان الفلسطينيين لمصلحة جمعيات استيطانية. وشهدت الأيام الماضية مواجهات بين فلسطينيين وقوات الاحتلال التي استخدمت الرصاص المطاطي وقنابل الصوت، ما أسفر عن اعتقال عدد من الشباب بحسب وكالة "وفا" الفلسطينية للأنباء.

آخر هذه المواجهات هو اعتداء مستوطنين إسرائيليين على عائلات فلسطينية في أثناء تنظيمهم إفطارًا جماعيًا في أحد شوارع حي الشيخ جراح، مدعومين بعناصر من الشرطة الإسرائيلية التي اعتقلت عددًا من الشباب المشاركين في الإفطار، بحسب وكالة "وفا". واستمرت المواجهات في الحي، وواجهتها سلطة الاحتلال بالرصاص المطاطي تجاه المواطنين، بحسب الوكالة. وأضافت الوكالة أن سلطة الاحتلال أغلقت مداخل حي الشيخ جراح، لمنع توافد المتضامنين مع السكان المهجرين بالتهجير، بينما تواصلت استنزافات المستوطنين للاحتشاد في المكان، عقب توافد المواطنين للتضامن مع أهالي الحي.

لقد احتلت إسرائيل القدس الشرقية في حرب عام 1967 ثم ضمتها إليها لاحقًا في خطوة لم يعترف بها معظم المجتمع الدولي الذي يعتبر المستوطنات غير مشروعة. وتعتبر إسرائيل القدس بشطريها عاصمة لها مشيرة إلى روابط تاريخية ودينية تربطها بها. وتصدرت المواجهات في محيط المسجد الأقصى - بعد اعتداء قوات إسرائيلية على المصلين - الساحات الفلسطينية المتفجرة والمشتعلة رفضًا لسياسات الاحتلال، إلى جانب ملف حي الشيخ جراح الذي ينتظر الحسم بالمحاكم الإسرائيلية منذ عام 2010. وتعززت تقديرات المؤسسة الأمنية لاحتمال تصعيد الاشتباكات والمواجهات في القدس والضفة الغربية المحتلتين، وذلك وسط الأزمة السياسية في إسرائيل ومعركة الكر والفر في حي الشيخ جراح، وفشل رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو في تشكيل الحكومة، ونقل التكليف إلى رئيس "هناك مستقبل" يائير لبيد.

في السياق رأى المحلل السياسي في صحيفة هآرتس عكيفا إدار أن نتياهو -الذي غالبًا ما يوظف القضايا الحارقة والأمن القومي لأهدافه السياسية، ولعل أبرزها فزاعة النووي الإيراني- وجد نفسه بحالة صدام مع القضية الفلسطينية التي دأب على ترحيل أي حلول ومفاوضات بحسب الموائيق الدولية بشأنها، ولعل توقيت الأحداث بالتزامن مع أزمة تشكيل الحكومة سيعمق من الأزمات التي يواجهها رئيس الوزراء. واعتبر إدار أن الحواجز عند باب العامود وما تبعها من أحداث أتت نتيجة تقديرات خطأ استخباراتي للشرطة ولم يكن الأمر له علاقة بضغط سياسي من الأعلى، بل على العكس، وفي ظل المقاومة الشعبية للفلسطينيين، أزلت الشرطة الحواجز الحديدية من باب العمود بموافقة نتياهو الذي دعا للتهدئة. لكن في حالة القدس، يقول المحلل السياسي "حتى لو توسعت الاحتجاجات واندلعت انتفاضة، وهو سيناريو من الصعب أن يتحقق بالمرحلة

الراهنة، لن تكون في إسرائيل حكومة طوارئ على غرار حكومة كورونا التي لربما أجلت رحيل نتنياهو عن المشهد السياسي، لكنها قربت من الإطاحة به عن كرسي رئاسة الوزراء".

6 - انجازات "سيف القدس":

فاقت الخسائر الاقتصادية التي مُنيت بها إسرائيل في غضون أيام قليلة، خسائر عدوان عام 2014. وفي جولة التصعيد هذه، أغلقت مصانع ومطاعم ومنشآت سياحية أبوابها، فيما تقدّم ما يزيد على 4500 مستوطن بدعاوى تعويضات من جرّاء الأضرار المباشرة التي لحقت بأعمالهم. أمّا أولئك الذين هربوا من جحيم الجنوب، فقابلتهم جهنّم شمالاً، بينما لم تنفع المبالغ الطائلة التي صُرفت على التحصين والملاجئ في حجب الثغرات التي افْتُضحت حتّى في أقرب النقاط إلى غزة. هذا، باختصار، ما خلّفته عشرة أيّام من «حراسة الأسوار»، في واحدةٍ من أفضل الحروب التي تخوضها إسرائيل، والتي تستعرض «الأخبار» في ما يلي بعضاً من وجوه فضائحتها. وكشف تقرير نشره موقع «ذا ماركيتر» الاقتصادي الإسرائيلي أن أكثر من 4500 إسرائيلي تقدّموا بدعاوى لمصلحة الضرائب، يطالبون فيها بتعويضات من جرّاء الأضرار المباشرة التي لحقت بممتلكاتهم. وأفاد التقرير بأن المبلغ الإجمالي لدعاوى التعويضات بلغ أكثر من 200 مليون شيكل، 55% منها تتعلق بتضرّر مبانٍ من جرّاء قصف المقاومة، و45% بالأضرار التي لحقت بالسيارات وممتلكات أخرى. وتوزّعت الدعاوى على مدينة عسقلان المحتلة (1400 دعوى)، وأسدود (250 دعوى)، ووسط فلسطين المحتلة (أكثر من 1600 دعوى). علاوة على ذلك، باتت منازل أكثر من 115 عائلة غير صالحة للسكن، وأجلى سكّانها إلى مأوى مؤقتة.

قال اتحاد المصنعين الإسرائيليين إن قطاع التصنيع خسر 160 مليون دولار خلال الأيام الثلاثة الأولى فقط من الاشتباكات جراء تعذر العمل بدوام كامل، في ظل القصف الصاروخي الفلسطيني من قطاع غزة. وذكرت صحيفة "غلوبس" الإسرائيلية أن "تحليل قسم الاقتصاد في اتحاد المصنعين يُظهر أن الضرر الاقتصادي التراكمي للتصعيد الأمني في الأيام الثلاثة للاقتصاد بأكمله يُقدر بنحو 540 مليون شيكل (160 مليون دولار)، أي نحو 180 مليون شيكل (54 مليون دولار) لكل يوم إضافي من القتال". وأوضحت أن "التقييم يشير إلى الأضرار التي لحقت بأنشطة الأعمال والمنشآت الصناعية وفقاً لإرشادات قيادة الجبهة الداخلية

بالجيش الإسرائيلي، والتي بموجبها لم يتم إجراء أي عمل بدوام كامل في المناطق الجنوبية والوسطى بين 11 و13 أيار الجاري". ويعتمد التقدير، وفق الصحيفة، على تكلفة يوم العمل، بـ"افتراض أن نحو 35 بالمئة من موظفي المنطقة الجنوبية متغييبين عن العمل، ونحو 10 بالمئة في المنطقة الوسطى". وأفادت بأن "هذا التقدير لا يأخذ في الاعتبار الخسائر المالية الناتجة عن الأضرار المباشرة التي لحقت بالمصانع، والأضرار التي لحقت بالأرباح، وغير المباشرة كالإضرار بالسمعة مع عملاء الخارج، وإلغاء المعاملات، وعدم الامتثال للجدول الزمنية، والمتوقع أن تكون أعلى بكثير عند حصرها نهاية العملية العسكرية". واستناداً إلى كل ما ذكر سابقاً وبعيداً عن الأمنيات الذاتية فإن النظرة الموضوعية لما أفرزته المواجهة الميدانية الجديدة على الساحة الفلسطينية يؤكد ما يلي:

. قدرة المقدسيين على الصمود والمواجهة في المسجد الأقصى وحي الشيخ جراح، وإرغام قوات الاحتلال والمستوطنين على التراجع والانسحاب المؤقت، وصدر قرار المحكمة القاضي بتأجيل تنفيذ مصادرة بيوت الفلسطينيين في الشيخ جراح.
. دخول المقاومة الفلسطينية في غزة بؤرة الصراع في القدس، وهذا يعني الفشل في فصل خطوط التماس والمواجهة.

. تهديد المقاومة الفلسطينية بقصف العمق الإسرائيلي ما لم تتراجع سلطات الاحتلال عن تصعيدها العدواني في القدس، وتنفيذ التهديد في الوقت المحدد، ووصول صواريخ المقاومة إلى "تل أبيب" وضواحيها، وإنزال خسائر بشرية غير مسبوقه في صفوف قوات الاحتلال.

. انطلاق صواريخ المقاومة باتجاه العديد من المدن الفلسطينية المحتلة، وإرغام مئات آلاف المستوطنين على الإقامة في الملاجئ، وتحول كل جغرافيا الداخل الآمن إلى أهداف مكشوفة تحت نيران المقاومة، أي سقوط نظرية أمان البطن الرخو الإسرائيلي.

. إخفاق ذريع في عمل منظومات الاعتراض الصاروخية/مقلاع داوود . حيثس . القبة الفولاذية . الباتريوت، وفرض معادلة الردع الناري المتبادل حتى الآن، ولو بشكل نسبي.

. اتساع ساحات المواجهة لتشمل جميع الأراضي الفلسطينية المحتلة بما فيها أراضي 48، وأداء مذهب من أهاليها إلى درجة التصدي المباشر لقوات الاحتلال وشرطته، وإحراق سيارات إسرائيلية في أكثر من بلدة ومدينة، وتحول عرب 48 إلى عامل جديد ونوعي وفاعل، وهذا يبني عليه الكثير .

. إغلاق مطار بن غوريون وتحويل الطيران القادم إلى اليونان وقبرص، وإصابة الملاحه الجوية بشلل كبير، وهذا أيضاً تطور نوعي كبير .

. ازدياد الهجمة العسكرية الإسرائيلية وتكثيف عمليات القصف بشتى أنواعه، واستهداف الأبنية السكنية، وارتفاع عدد الشهداء والجرحى ، فضلاً عن التدمير الكبير في البنى التحتية لتعطيل دورة عجلة الحياة، وكل ذلك لم يقلل من وتيرة القصف المقاوم يومياً بمئات الصواريخ للعمق الإسرائيلي.

. ازدياد حدة الأصوات المنددة بالهجمة الصهيونية وتحرك مسيرات شعبية مناهضة للعدوان الصهيوني في العديد من العواصم والمدن الكبرى عالمياً بما في ذلك داخل بريطانيا وأمريكا.

. الضعف المخزي في الموقف الرسمي العربي، وما صدر عن جامعة الدول العربية لا يرقى إلى أدنى درجات الواجب والمسؤولية العربية والإسلامية والأخلاقية، وهذا غير مستبعد، فمن السذاجة انتظار أفضل من ذلك من أنظمة تابعة ومرهونة للمشينة الصهيونية . أمريكية.

. روح التحدي والإرادة الصلبة التي أبداه الفلسطينيون تحمل بصمة الشهيد القائد قاسم سليمان، وتؤكد أن نهج المقاومة هو الأرسخ و الأبقى والأكثر تجزراً وفاعلية، بغض النظر عن قلة الوفاء التي صبغت أداء بعض الفصائل تجاه بعض أقطاب محور المقاومة طيلة سنوات الحرب المفروضة على الدولة السورية.

- السلطة فقدت مصادر شرعيتها : كانت السلطة، بما تشمله من وزارات وأجهزة أمنية، أكبر الخاسرين مما جرى، لأنها لم تكن بمستوى التحدي، وفقدت الشرعية، وباتت الآن من دون شرعيات، لا شرعية صندوق الاقتراع بعد تأجيل الانتخابات إلى أجل غير مسمى، ولا شرعية المقاومة التي لم تبادر إلى المشاركة في تنظيمها وقيادتها، واضطرت للانخراط بها، بدليل أنها عقدت اجتماعاً يتيماً شكل لجنة لدراسة الخيارات، ولم تنه اللجنة عملها ولن تنتهي، لدرجة أن الرئيس عباس لم يخطب ليعلق على وقف العدوان، وهذا أدى إلى غياب دوره ودور السلطة حيث كانت الانتفاضة والمقاومة هي اللاعب الرئيس. ولا تملك القيادة والسلطة شرعية الوفاق الوطني في ظل وقف الحوار وعدم تطبيق الاتفاقات وتأجيل الانتخابات بقرار انفرادي، ولا

شرعية الإنجاز كما يظهر في الواقع السيئ، ولكن السلطة رغم كل ما سبق مرشحة للبقاء، لأن المعارضة لا تطرح - حتى الآن - بديلاً متكاملًا وعمليًا، لذا، فالبديل عن السلطة لم يولد بعد، ولأن أطرافًا مختلفة تسارع إلى تركيب أرجل اصطناعية لها. بالتالي لا يمكن حل مسألة القيادة والسلطة وإيجاد البديل عبر الكلام والشعارات عن حل السلطة أو إسقاطها من دون توفر البديل، ومن دون وجود من هو قادر على الإسقاط. أما البديل الممكن فيمكن أن يكون في بناء سلطة موازية خطوة خطوة، وصولاً إلى ازدواجية السلطة حتى تحسم السلطة الجديدة الأمر لصالحها، أو في إعادة تشكيل السلطة، بمعنى تغييرها، من خلال شراكة ووحدة وطنية تبدو بعيدة حتى الآن، أو من خلال الاكتفاء بإصلاح السلطة وتجميلها. وإذا أخذنا أمرًا آخر، وهو الانتخابات، فهناك من يقول لا انتخابات تحت الاحتلال، ومن يرد عليه بحق بأنه ما دامت هناك سلطة تحت الاحتلال فيجب أن تحكم حكمًا رشيدًا، ولا يمكن أن يتم ذلك من دون انتخابات.

_ أعادت انتفاضة عودة الوعي ووحدة الشعب الاعتبار للمقاومة بمختلف أشكالها، فهي مزجت بين المقاومة الشعبية والمسلحة، وأسقطت النظريات السابقة بعدم إمكانية الجمع بينهما، فقد تصاعدت الهبة في القدس إلى موجة انتفاضية بعد إطلاق الصواريخ، وعمت فلسطين كلها، وامتدت إلى العالم كله.

_ إن نقطة الضعف القاتلة التي بقيت على حالها هي أن انتفاضة سيف القدس بكل أبعادها لم توحد القيادة والسلطة، وإنما وحدت الشعب والأرض والقضية، وإذا استمر الحال على ما هو عليه فهو يهدد استمرارية الموجة الانتفاضية أو تجدها بسرعة، ويقضي على إمكانية استثمارها والبناء عليها.

7 - سيف القدس والتطبيع:

السؤال المهم المطروح بعد معركة "سيف القدس" يدور حول مآل التحالف بين بعض الأنظمة العربية وإسرائيل، تحت مسمى التطبيع، بعدما أثبتت الانتفاضة الشاملة والمقاومة المتعددة الأوجه، على امتداد فلسطين، مركزيتها كقضية في وجدان شعوب الأمة. فالأنظمة التي تحالفت مع إسرائيل، كالنظام الإماراتي مثلاً، والتي بحكم طبيعتها غير الديمقراطية لا تقيم وزناً لموقف شعوبها، صدقت الأطروحة الإسرائيلية - الأميركية عن نهاية القضية الفلسطينية، وأن الشعب الفلسطيني لم تعد له أهمية تُذكر بالنسبة إلى بقية الشعوب العربية. لكن اثبتت تطورات الشهر الأخير أن قضية فلسطين هي القضية الرئيسية للأمة العربية

والإسلامية. وهي برهنت على وحدة الشعب الفلسطيني التي لا مثل لها منذ عشرات السنين، وأن الشعوب العربية تقف بغالبيتها العظمى بحزم مع الشعب الفلسطيني. ولقد ثبت خواء كل الحجج التي استند إليها مسار التطبيع والتحالف الخياني.

على الصعيد السياسي الفلسطيني فإن «حماس» اليوم، شئنا أم أبينا، باتت عنوان القضية الفلسطينية، فهي التي تقرر وهي التي ترفض فيما تهاوت وضعية السلطة والقيادة الفلسطينية إلى مستوى متدن، وهو ما عبر عنه جبريل الرجوب حين صرح قبل أيام «إن أيًا من الزعماء العرب لم يتصل بالرئيس محمود عباس خلال العدوان الإسرائيلي الحالي»، وفي المقابل فإن نتياهو سقط سقوطا مدويا بعدما اصبحت تسميته المتداولة في الاعلام العبري ووسائل التواصل الاجتماعي «بالكارثة» «والجبان» و«الاناني». ومن ابرز النتائج التي افرزتها عملية «سيف القدس» على الصعيد الفلسطيني ايضا توحيد الشعب الفلسطيني في الشتات وفي الضفة وغزة وفي مناطق الخط الاخضر بالإضافة لاعادة احياء الروح القومية لدى الشعوب العربية تجاه القضية الفلسطينية بعد ان غابت بصورة شبه كاملة عن اهتمامات هذه الشعوب، وفي المقابل فجرت هذه المعركة مخزن البارود المنسي داخل دولة الكيان، والمتمثل بالتراكم التاريخي للاضطهاد الديني والقومي والسياسي الذي تمارسه دولة الاحتلال ضد المواطنين العرب، أصحاب الارض والسكان الاصليين، فقد طرأ بسبب هذه المعركة تحول تاريخي في صيرورة العلاقة بين العرب ودولة الكيان، واحس المواطنون العرب ولأول مرة منذ احداث يوم الارض قبل 45 عاما بهويتهم العربية وفقدانهم لحقوقهم القانونية والسياسية، حيث راکمت العقود الماضية وبخاصة خلال حقبة نتياهو (2009 - 2021) المزيد من أسباب التمييز ضدهم وضد حقوقهم وبخاصة بعد اقرار قانون القومية (الذي يعتبر إسرائيل دولة قومية للشعب اليهودي اقر في 19 يوليو 2018). أما حماس ذاتها فقد حدث فيها تحول جذري أيضا حيث حسم التنافس الداخلي بين تياراتها لصالح غزة فهي اليوم وأكثر من أي وقت مضى «حركة وطنية فلسطينية خالصة» لا تأثير للخارج على قرارها العسكري والنضالي وهو أحد أهم أسباب الانتصار في غزة، فالقرار بات في يد محمد ضيف ويحيى السنوار، وإسرائيل تدرك ذلك وتعمل قصارى جهدها لاغتيالهما أو لاغتيال أي منهما لانهاء «فلسطينية حماس» وهي قضية أساسية في العقلية الأمنية الإسرائيلية.

8 - اسرئيل المأزومة والمهزومة:

لم يكن أحد في كيان العدو يتوقع ما فعلته المقاومة في غزة. وكل كلام عن تقديرات وتوقعات فقد صدقيته مع انطلاق الصواريخ نحو القدس، بعد فترة وجيزة من تهديد قائد «كتائب القسام» المجاهد أبو خالد الضيف. هذه النقطة، وحدها، تمثل العنوان الرئيس للأزمة في اسرئيل. أزمة العقل السياسي والعسكري والاستخباراتي. أزمة «اللايقين» ازاء ما يمكن ان يصدر عن الطرف الآخر. وهي نفسها الأزمة القائمة مع لبنان منذ سنوات طويلة، وتفاقمت مع غزة منذ سنوات قليلة، قبل أن يتضح حجمها مع اندلاع المواجهة العسكرية الأخيرة. أول الأمر هو أن تبادر المقاومة إلى الحرب. ومن أين؟ من قطاع غزة المحاصر بلقمة عيشه، وبالضغط العسكري والأمني والسياسي من غالبية حكومات المنطقة والعالم، والذي يواجه أزمات مستجدة بفعل تقادم الأزمة الاقتصادية وانتشار جائحة كورونا، كما يواجه التحدي السياسي المتصل باستحقاق الانتخابات الفلسطينية. وهو القطاع الذي يضم حركات إسلامية تواجه أعقد حملة يشارك فيها كثيرون من دول العالم ونخبه.

لم يكن العدو يتوقع بأن يبادر القطاع إلى خطوة كهذه. ولو كان لديه أدنى تقدير، أممي أو سياسي، لكان تصرف بطريقة مغايرة في إدارته لملف العدوان على القدس وأحياء المدينة العربية، ولكان وضع خطة عسكرية تمنحه هامشاً اضافياً. لكن القطاع بادر الى خطوة نوعية، جعلت العدو يخسر ما تميز به دائماً، وهو عنصر المباغته الناجم عن تفوقه في المبادرة الى شن الحروب.

يكفي أن يراقب العدو أداء المقاومة في غزة ليبدأ بحسابات مختلفة في بقية جبهات المقاومة، خصوصاً جبهة لبنان التي تعلمت من درس غزة الأخير ما يكفي لإعادة النظر في أمور كثيرة في شأن المواجهة مع العدو، لا تتعلق بالردع التقليدي، بل بالعقيدة القتالية القائمة على مبدأ الهجوم الدفاعي والهجوم الوقائي.

أمام ما فعلته غزة، كان العدو أمام سيل من المفاجآت. لا يتعلق الأمر، فقط، بقدرة المقاومة على إطلاق صليات كبيرة من الصواريخ تصل إلى عمق الكيان. بل في أن رد فعل الفلسطينيين على إطلاق الصواريخ تجاوز التضامن الاحتفالي، كما يفعلون عادة، إلى حدود الانخراط المباشر في مواجهة كسرت كل الرتابة التي قامت خلال عقد في الضفة الغربية وأراضي ال48. لم يكن العدو يحسب أن يخرج جيل جديد من الفلسطينيين في تحركات شعبية تتخللها احتجاجات عنيفة ضد قوات الاحتلال. وخلال أيام قليلة، كانت «اسرئيل» أمام

أزمة من نوع مختلف، هي أزمة انعدام القدرة على ضبط المشهد الفلسطيني في الضفة، حيث لا يمكن السلطة الفلسطينية ممارسة قمع استثنائي، وهي التي تعرف أن مشكلتها كسلطة متعاونة مع الاحتلال باتت أكبر من السابق. والحال نفسها انسحبت على مناطق الـ48 حيث فشلت كل القيادات التقليدية في كبح جماح التحركات الشعبية. أكثر من ذلك، فإن العدو قرأ في ما حصل في مناطق الـ48 تمرداً يمكن أن يتطور إلى أبعد مما يحسبه الجميع، وهو يشير صراحة إلى فشل سياسة الاحتواء التي مورست خلال العقد الأخير، سواء من قوات الاحتلال نفسها أو من قيادات فلسطينية غادرت الموقع النضالي نحو مربع التسويات المعبر عن عجزها عن تحمل متطلبات المقاومة. وهي حال كثيرين من قيادات وقوى الـ48، ولا تقتصر على جماعة الحركة الإسلامية الجنوبية أو القيادات الأسرلة، بل إن حال الركود أصابت قوى وشخصيات يسارية وقومية عربية بدت هزيلة الفكر والتقدير والقراءة أيضاً.

الحرب الإسرائيلية لم تتجاوز سقف العقاب وتدفع الثمن لكن الكارثة ليست عسكرية فحسب بل سياسية ومساحتها العالم وليس فلسطين فقط. وأمام هذا المشهد من العجز والانكفاء، بدت إسرائيل أمام السؤال الدائم: ما الذي يمكن فعله بعد؟

كل كلام عن محاولات العدو تحقيق انتصارات عسكرية في قطاع غزة يعبر عن قلة فهم لواقع المعادلات القائمة في فلسطين ومن حولها. وكل كلام عن قدرات خارقة للعدو تدفع فصائل المقاومة الى الانسحاب لا يزال اصحابه يعيشون في زمن مضى ولن يعود. وكل كلام عن قدرة العدو قلب المعادلة الميدانية لا يعبر عن فهم لحقيقة ما تغير على الأرض في السنوات السبع الأخيرة. ما يعني، عملياً، أن العدو لم يكن أمامه سوى استراتيجية العقاب، واتباع سياسة تدفيع الثمن الباهظ للمقاومة نفسها، وللشعب الفلسطيني في كل مناطق انتشاره، من غزة التي ضربت بقسوة، ولكن أيضاً بطريقة تعكس حالة ردع ما موجودة في العقل القيادي الإسرائيلي، إلى الضفة الغربية حيث ضرب المتظاهرون بقسوة هدفت إلى قتلهم، إلى جانب حملة الاعتقالات العشوائية الواسعة. أما في مناطق الـ48 فقد عمد العدو إلى محاولة خلق توازن رعب من خلال ترك المستوطنين يتصرفون وفق منطق العصابات الارهابية، بالتوازي مع عمليات اعتقال واسعة شملت كل الناشطين والمشاركين في الاحتجاجات.

منذ اليوم الثاني لاندلاع المواجهات العسكرية، بدت إسرائيل أمام معضلة توجيه ضربات استثنائية لكوادر المقاومة في القطاع. عنصر المباغته الذي جاء هذه المرة من جانب القطاع، جعل بنك الأهداف العسكري والأمني لدى العدو خالياً من غالبية نقاطه. وأظهرت المقاومة - رغم الخسائر التي أصابت قيادتي القسام وسرايا القدس - قدرة على تنظيم عملية إخلاء صامتة، وإعادة تنظيم عمليات التواصل بين المجموعات المقاتلة. ونجح الفريق التقني في وصل كل ما انقطع من خطوط التواصل السلبي، وفي تنظيم عمليات تشييد المقاتلين في نقاط استعداد لأي مواجهة برية، وتنظيم عملية إطلاق الصواريخ بطريقة تحاكي توفير المخزون في مواقع قابلة للتحرك السريع، واستخدام ما كان قد نُصّب قبل وقت طويل من اندلاع المواجهة. وما فشل العدو في وقف العمليات العسكرية الصاروخية الهجومية إلا إشارة إلى خلل كبير سينعكس أزمةً في العقل القيادي، العسكري والأمني، لقوات الاحتلال. ولن ينفذ هنا كل التعنيف الذي وجهه الاسرائيليون إلى المصريين بحجة أنهم لم يبذلوا جهوداً كافية لمنع تهريب المواد التي ساعدت المقاومة على بناء قوة غير مسبوقه. علماً أن العدو يعرف أن قدرات المقاومة المتنوعة لم تخرج كلها إلى المعركة، وهي بقيت وتبقى رهن مسار ميداني يفرض نفسه على الجميع.

عملياً، لم يبق لدى العدو سوى التصعيد العنفي في معركة «تدفيع الثمن». وهي عملياً سياسة من دون طائل، لأنها لم تحقق هدفها في كبح جماح المقاومة وردعها ومنعها من مواصلة إطلاق الصواريخ. كما أنها ليست ذات فعالية على صعيد تأليب القاعدة الاجتماعية للمقاومة ضدها. بل على العكس. فكما في كل مرة، وربما أكثر من المرات السابقة، ظهرت نتائج عكسية. إذ تفاعل الجمهور داخل فلسطين وخارجها، وفي العالم كله، مع مظاهر الإجرام الاسرائيلي، وهو ما سنكشف الأيام المقبلة عن حجم تأثيره في قرارات حكومات وقوى وجهات كثيرة في العالم، بما في ذلك تلك التي ترفض منطق المقاومة أصلاً وفصلاً.

باختصار نحن الآن على عتبة مرحلة جديدة من المواجهة. سيخرج العدو فيها معلناً انتصاره المزعوم، كما في كل مرة. لكننا سنسمع، سريعاً، الصراخ السياسي وغير السياسي في كل مواقع الكيان ومؤسساته. وسيضطر قادة العدو، العسكريون والأمنيون، للجلوس أسابيع طويلة في محاولة لفهم ما حصل، واستشراف كيفية التصرف في المرحلة المقبلة. أما المستوى السياسي، فلن تنفع كل مناورات، إذ باتت أزماته الخارجية أكبر من الداخلية. ولمن لا يعلم، فإن «إسرائيل» دولة تهتم كثيراً بالموقف الغربي من تصرفاتها، ويعرف قادة العدو أن

الغرب لم يكن معجبا على الإطلاق بأداء العدو العسكري والسياسي. أما الحلفاء من العرب، الذين كرروا فعلتهم الشنعاء خلال حرب تموز العام 2006 بتحريض العدو على مواصلة الحرب، فسيشعرون بالنتائج الكارثية. ورغم أنه لا يُتوقع تبدلات نوعية في مواقفهم، لكنهم سيتصرفون، غصباً لا طوعاً، بطريقة مختلفة.

9 - المعركة على الوعي: المقاومة انتصرت:

تنتظر إسرائيل في مرحلة ما بعد وقف إطلاق النار مع قطاع غزة، علامات استنفام متشعبة، في اتجاهات ومستويات مختلفة، لا تقتصر على النتائج المادية المباشرة للمعركة العسكرية فقط، بل وتطال أيضاً تداعياتها على ساحات أخرى، لا تقل أهمية، بل تزيد، عن الساحة الغزوية، على رغم تقدم الأخيرة سلم الأولويات حالياً. الأسئلة التي تشغل صاحبي القرار السياسي والعسكري في تل أبيب، بل وشغلتهما قبل وقف إطلاق النار، تتعلق بأسباب الفشل وتأثيراته السلبية على تموضع إسرائيل في مواجهة الفلسطينيين، سواء في غزة أو الضفة أو القدس، وكذلك في أراضي العام 1948. ولعل في مقدمة تلك الأسئلة في دائرة التحدي الأولى، أي الفلسطينية، حجم الضرر الذي لحق بقوة الردع الإسرائيلية في هذه المواجهة، والذي يبدو كافياً في ذاته لمنع مواجهة أخرى، يُرجح، مع هذا، أن لا يفصلها زمن طويل عن الأخيرة. أيضاً، سيكون على إسرائيل البحث في قوة الفصائل كما تبدت في الجولة المنتهية، وإن كانت تل أبيب تملك أدوات منع ترميمها أو تعاضها من جديد. في الإطار نفسه، ستركز الاهتمام الإسرائيلي على بحث فاعلية المعادلة المتشكلة نتيجة الحرب، وإن لم يجر الاتفاق على محدداتها: إن عاودت إسرائيل إجراءاتها في القدس، وكذلك في الضفة، فهل ستبادر غزة إلى التحرك عسكرياً لمنع الاعتداء؟ هذا يعني البحث في تأثير الدور الحمائي الغزي للقدس والمقدسيين وقضاياهم، ومدى إضراره على المستوى الاستراتيجي بإسرائيل، ودوره في تراجع مكانة السلطة الفلسطينية التي تُعدّ أداة طيعة لدى الاحتلال، بالوكالة عنه وبالأصالة عن نفسها، لقمع أي مقاومة فعلية ضده. وإذا كانت إسرائيل التزمت بفك مستوى من مستويات الحصار، بما يشمل إمكانية إعادة بناء ما تضرر من دور سكنية وبنية تحتية في القطاع، إلا أنها ستكون معنية، إن قررت المضي قدماً في التزامها المشار إليه، في البحث في إمكانية استغلاله لانتزاع تنازلات من الفصائل في ما يخص معادلة «غزة - القدس»، التي لم تقرّ بها علناً، وإن كانت تدرك أن متطلبات تفعيلها باتت متوافرة لدى غزة، نتيجة المواجهة. كذلك، ستهتم إسرائيل

بدراسة أسباب الفشل الاستخباري الذي منعها من تحقيق إنجازات تطّعت إلى تحقيقها أياماً طويلة، علّما تكون قادرة على تحقيق صورة انتصار ما، كان يحتاج إليها المستويان السياسي والعسكري لإنهاء الجولة. وهذا الفشل أدى إلى تراجع الكيان، وإقراره بشكل غير مباشر بدونية قدرته على تحقيق الأهداف في مواجهة غزة، على رغم الفارق المهول في الإمكانيات العسكرية بين الطرفين. وردّاً على كلام ضباط جيش الاحتلال الذين قالوا في أحد اجتماعات المجلس الوزاري المصغّر التي عُقدت في الأيام الأخيرة إنه «من الناحية العسكرية البحث، حققت إسرائيل في 50 ساعة ما لم تحقّقه في عملية الجرف الصامد (عدوان 2014) في 50 يوماً»، قال كبير المعلقين في صحيفة «يديعوت أحرونوت»، ناحوم برنياع، إن «حماس انتصرت في الحرب النفسية والمعركة على الوعي». واستشهد بدلائل قصف «عاصمة إسرائيل في يوم عيدها (يوم احتلال القدس وتوحيد شطريها)»، في إشارة إلى القصف الذي استهدف مدينة القدس المحتلة بعد ساعتين من التهديد الذي أطلقه قائد المقاومة، محمد ضيف، في مبادرة غير مسبوقه في تاريخ الحرب مع العدو. يضاف إلى ذلك، قصف عمق إسرائيل (تل أبيب ومحيطها)، الذي أظهر «حماس» أمام الرأي العام العربي كـ "حامية للقدس والمقدّسات"، ما أشعل النار في قلب إسرائيل. وبحسبه، فإن «إسرائيل اليوم في قلب متاهة؛ إذ لا نية صريحة في البدء بعملية برّية، ولا خطط للسيطرة على مناطق، ولا أحد يتوقّع رايات بيضاء تُرفع فوق منازل الغزيين». من جهته، اعتبر رئيس تحرير صحيفة «هآرتس»، ألوف بن، أن عملية «حارس الأسوار» هي «الحرب الأكثر فشلاً في تاريخ إسرائيل». كما أنها، بحسبه، «كشفت مكامن فشل عسكري وسياسي خطيرين، فضلاً عن الإخفاق في استعداد الجيش وأدائه بقيادة حكومة مرتبكة وعاجزة». وفي مقالته، رأى بن أن إسرائيل تهدر الوقت في البحث عن «صورة انتصار»، داعياً إلى «وقف فوري للحرب، وإجراء فحص جذري في قلب بيت الجيش الإسرائيلي»، قبل أن يستدرك بالقول: «لا يوجد لنتنياهو، المتهم بمخالفات جنائية، أيّ قوّة سياسية لصنع تغيير ضروري».

10 - خيبة أمل نتنياهو:

لقد جاء وقف إطلاق النار المتبادل، بلا شروط، تهيئةً للإنجازات والانتصارات التي حققتها انتفاضة القدس، وصمود أهالي حيّ الشيخ جراح، وانتفاضة فلسطينيي الـ 48، والتي لحقتها مقاومة شعبية في عدّة وجهات

في الضفة الغربية، على الرغم من التنسيق الأمني الخياني. وتمّ الإعلان عن وقف إطلاق النار من جانب المقاومة في قطاع غزة، تأكيداً لما حقّته من توسيع قواعد الاشتباك لتشمل القدس والمسجد الأقصى، وهو ما جعل العدو يتراجع عن مواصلة محاولات اقتحام الأقصى من خلال إغلاق باب المغاربة (من دون إعلان)، بعدما وصلت الصواريخ - التي بلغت عدّة آلاف - إلى تل أبيب والقدس وعسقلان ومناطق أخرى، ما أربك العدو وجعل ردود قصفه، مهما بلغت فداحتها، محكوماً عليها بالفشل، وهو ما أكد اضطرار قيادة العدو إلى قبول وقف إطلاق النار بلا شروط.

لقد ظنّ نتتياهو أنّ ما فعله ترامب لاجله قد أدى فعلاً وحقيقة إلى تصفية القضية الفلسطينية وأقام «إسرائيل العظمى» التي تقود الشرق الأوسط وتهود فلسطين وتلغي حقوق الشعب الفلسطيني صغيرها وكبيرها، كما ظنّ أنّ انشغالات محور المقاومة في الحرب الكونية التي استهدفت قلعه الوسطى سورية ستتيح له الانطلاق طليق اليد في إرساء ما يريد في فلسطين والمنطقة وقيام الدولة اليهودية الخالصة، ما يجعله أكبر ملوك «إسرائيل» وأطولهم فترة حكم وأشدّهم تأثيراً على تاريخ «إسرائيل» برمته. ولكن ظنّ نتتياهو كان في مكان وكانت الحقيقة في كان معاكس، فعلى الصعيد «الإسرائيلي» الداخلي لم تستجب صناديق الاقتراع التي استعملت أربع مرات متتالية في سنتين، لم تستجب لأحلامه وفشل نتتياهو المرة تلو الأخرى في تحصيل الأكثرية المناسبة لتشكيل الحكومة. أما على الصعيد الفلسطيني وهنا كانت الطامة الكبرى بالنسبة له، فقد وقع في سوء تقديره وفعله وافتضح كيانه الواهن إيما فضيحة بعد فتحه معركة تهويد القدس التي ظنّ أنّ ابتلاعها بات سهلاً عليه، فإذا به يختنق بها.

لقد خطّطت «إسرائيل» ما بعد حرب 1967 لجعل القدس عاصمة للكيان اليهودي المزعوم، واتخذت من الإجراءات الأحادية المنافية لأحكام القانون الدولي العام خاصة قرارات مجلس الأمن، ما يجعل كلّ القدس بكلّ ما فيها بما في ذلك المسجد الأقصى وكلّ المقدسات الإسلامية والمسيحية وكلّ ممتلكات العرب في القدس، ملكاً للدولة اليهودية ولشعبها المغتصب. وجاء ترامب في خطته المسماة «صفقة القرن» ليؤكد على ذلك ويدّعي أنّ القدس عاصمة للكيان الغاصب، وبعد ترامب تابع نتتياهو إجراءاته في القدس وهو هذه المرة أراد أن يجعل لها وظيفة إضافية، فضلاً عما تقدّم، فإنه أراد أن يحوّل الأقصى وأحياء القدس الشرقية ورقة يستعملها في محاولته الاحتفاظ بالسلطة، ولذلك فتح نتتياهو معركة الأقصى والقدس، في الأقصى لاستباحته

على مرحلتين يفرض في الأولى التقسيم المكاني والزمني للدخول إلى الأقصى بين المسلمين واليهود، وفي الثانية يضع اليد على كامل المسجد لصالح اليهود وكيانه المزعوم، أما على المقلب الآخر فخطة نتتياهو تمثلت بمصادرة بيوت العرب في القدس وإخراجهم منها بشكل متتابع إلى أن يصل إلى وضع لا يبقى فيه عربي واحد في القدس، ويتمّ بذلك التهويد حكماً وواقعاً. وقد شرع نتتياهو بالتنفيذ مطمئناً إلى أنّ أحداً لا يستطيع منعه من تنفيذ خطته الإجرامية تلك، لكن المفاجأة الزلزال حدثت بما لم يكن متوقعاً، حيث استلّت المقاومة الفلسطينية بأشكالها كلها المدنية والعسكرية الشعبية والتنظيمية، لا بل الأفضل أن نقول استلّت فلسطين كلها «سيف القدس» لتمنع الجريمة وتحول دون تنفيذ الخطة الخبيثة، فكانت الأيام العشرة الأواخر من شهر رمضان أيام إشراق هبة القدس للدفاع عن قلب فلسطين، وكانت الأيام الأخيرة من شهر رمضان التي أعقبت «يوم القدس العالمي» (يوم الجمعة الأخير من شهر رمضان) موعداً لإطلاق معركة سيف القدس على يد المقاومة المسلحة انطلاقاً من غزة، ثم تعاضم الردّ لا بل الردود حتى شملت كلّ فلسطين التاريخية بكلّ عناوينها وتسمياتها بما في ذلك الأرض المحتلة في العام 1948 والضفة الغربية المحتلة في العام 1967 وقطاع غزة المحرر في العام 2005، طبعاً فضلاً عن القدس التي هي بيت القصيد.

لقد انفجرت فلسطين التاريخية محدثة بركاناً فلسطينياً يحرق بحممه كلّ أحلام العدو ويرسم معادلات جديدة لم تخطر ببال أحد من الأعداء والخصوم أو من أولئك الذين يسمّون أنفسهم عرباً انقادوا للاستسلام للعدو والإذعان لإرادته تحت مسمى «التطبيع» المخزي. ومع هذا الانفجار البركاني الزلزالي ارتسم مشهد جديد للقضية الفلسطينية يعاكس كلّ ما خطط له من قبل الأعداء وذلك على الوجه التالي:

1. أعيد الاعتبار إلى العنوان المركزي الذي هو «القضية الفلسطينية» ومسألة فلسطين كلها، والتأكيد على وحدة القضية بما يتصل بها من توصيف سياسي وجغرافي وتاريخي وديمقراطي واستراتيجي، عنوان عاد ليحتلّ الموقع المتقدم الذي يليق به لا بل الأولوية في كلّ المسائل المطروحة في الشرق الأوسط والعالم. لقد رمت «صفقة القرن» إلى تصفية القضية هذه والتعامل مع متعلقاتها كأوراق متناثرة مشتتة من قبيل القول ورقة لاجئين ورقة غزة ورقة ضفة إلخ... وغيّبت عنوان الشعب الفلسطيني وحقوقه السياسية، وجاء بركان فلسطين ليقطع الطريق على كلّ تلك المحاولات الخبيثة ويفرض حقيقة لا يمكن لأحد أن يتجاوزها هي قضية فلسطين وشعبها وانتمائها القومي والإقليمي والإنساني.

2 . أكد الزلزال الفلسطيني على وحدة الشعب الفلسطيني، تلك الوحدة التي أرادوا النيل منها بتعدد العناوين وتوزيع الشعب فئات وشرائح، وكانت المفاجأة لهم أنّ الفلسطيني في فلسطين التاريخية كلها وخارج فلسطين التاريخية في كلّ أنحاء العالم ينطق اللغة ذاتها ويحمل الآمال ذاتها ويعمل من أجل طموحات واحدة هي العودة إلى فلسطين وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة الواضحة الانتماء قومياً وإقليمياً. وقد كانت المفاجأة الكبرى ما ظهر في الأراضي المحتلة العام 1948 في اللد وأمّ الفحم والمثلث وسواها، حيث كان الفلسطينيون هناك يجاهرون بمشاعرهم التي لا تقلّ وطنية عن مشاعر أهل غزة أو اللاجئ خارج فلسطين.

3 . أرست معركة "سيف القدس" معادلة دفاعية جديدة على الصعيد الفلسطيني العام مضمونها أن «الكلّ يدافع عن الكلّ، والكلّ يدافع عن الجزء، والجزء يدافع عن الكلّ»، وأجهضت بذلك كل نظريات ومحاولات التجزئة وتشتيت أوراق القضية وباتت القدس محمية ليست بسواعد المقدسيين من داخل القدس فحسب، بل وبقوة الفلسطينيين من خارج القدس كما وخارج فلسطين، وقضى الفلسطينيون بذلك على استراتيجية الاستفراد التي يتمسك العدو بها منذ إنشائه ويطبقها على كلّ الصعد.

4 . دفعت المعركة العدو الإسرائيلي إلى نوع من الهستيريا الميدانية، وجعلته ينفذ عمليات قتل وتدمير إجرامية بدل أن يقوم بعمليات عسكرية ميدانية جراحية. وهو يتوخى من إجرامه الضغط على قيادة المقاومة من أجل وقف إطلاق النار من دون تحقيق أهدافها من المعركة، لكنه صدم مرة ثانية أمام عزيمة الفلسطينيين وإرادة الصمود والقتال لديهم واستمرارهم في المواجهة من دون أن تتفع معهم كلّ الضغوط الميدانية والسياسية التي يتعرّضون لها وهم يرفعون شعار لا وقف للمعركة ووقف لإطلاق النار قبل أن تحقق المعركة أهدافها المتمثلة بحماية الأقصى وحماية الوجود العربي والإسلامي في القدس في مقدّساتها وأحيائها.

5 . فضحت المواجهة القائمة في فلسطين الآن وهن القبة الفولاذية التي أنفق العدو عليها آلاف الملايين من الدولارات واعتمدها من أجل إرساء مقولة «شعب يعمل تحت النار وهو آمن»، ومن أجل أن يعطل محاولة المقاومة إلهاب مجتمع العدو بالنار، وتبيّن في هذه المعركة أنّ القبة الفولاذية عاجزة عن اعتراض نسبة تتعدّى 35% من الصواريخ الموجهة إلى الكيان في عمقه وأطرافه على حدّ سواء، ما طرح سؤالاً كبيراً لدى قيادة العدو اختصره ليبرمان وزير الحرب الإسرائيلي السابق بالعبارة: «إذا كان وضعنا هكذا مع حماس، فكيف سيكون حالنا مع حزب الله أو إيران؟». ويضيف «إنها مأساه لا بل كارثة قاد نتنياهو إسرائيل إليها». إنّ

هاجس مستقبل المواجهة مع كامل محور المقاومة بات يورق «إسرائيل» إلى حدود الرعب والذعر العام ما يؤدي إلى القول بأن «إسرائيل» باتت تشعر وتسلم بأنها فقدت حتى الآن هيبتها الرادعة، وقدرتها على إسكات مصادر النيران المعادية التي تستهدفها، والأخطر أنها فقدت زمام المبادرة.

6. نجاح المقاومة الاستراتيجي والعملائي على حد سواء. حيث نجحت أولاً في العمل باستراتيجية الاستنزاف والإنهاك الذي يقود إلى تآكل قوة العدو العسكرية والاقتصادية، كما في فضح صورته الإجرامية أمام العالم. ووضعت مجتمع العدو في حال من الشلل والتعطيل لأيام لا يحتمل أن تطول، كما فرض على العدو استهلاك كم كبير من الذخائر يفوق بعشرات المرات ما تستعمله المقاومة. أي شلت حركته الاقتصادية وتعطلت الموارد وفتحت على مصراعيها أبواب حاجاته الاستهلاكية وكل ذلك بفضل الفعل المقاوم المتفن التخطيط والتنفيذ. فبعد أن اعتاد الفلسطينيون في 15 ايار من كل عام إحياء ذكرى نكبة فلسطين عبر فعاليات شعبية، تعبيراً عن تمسكهم بحق العودة إلى ديارهم التي هُجروا منها قسراً، عام 1948، تحل هذا العام الذكرى في ظل ظروف استثنائية يشعر فيها الفلسطينيون أنهم أقرب إلى التحرير من أي وقت مضى، وفق ما نشر موقع «الرسالة نت» القريب من حركة «حماس». باختصار يمكن القول إن معركة سيف القدس اثبتت أن إسرائيل كيان هش يفتقر لأي عمق استراتيجي بحيث أن حركة مقاومة محاصرة تمكنت من فرض حظر الطيران الجوي على الاحتلال وأجبرت أكثر من 70% من مواطني دولة الاحتلال على المكوث في الملاجئ. وهي أعادت الاعتبار للفلسطينيين في كل مكان في داخل فلسطين وخارجها، ووحدتهم على رؤية واحدة ومشاعر واحدة ومواجهة واحدة وقرار واحد وقراءة واحدة للأحداث، بحيث أن العالم بأسره شهد حركة تحرير جدية وجديدة وقادرة على إنجاز أهدافها في وقت سريع وقياسي. وما تقدم يدل على أن إسرائيل تعيش مأزقا وجوديا غير قابل للحل، فمن جهة لا يمكنها حسم الصراع لمصلحتها والإستجابة لحاجة مواطنيها بالشعور بالأمن والطمأنينة من خلال تحويل كيانها لدولة طبيعية في المنطقة أسوة بباقي الدول لا سيما بعد مرور أكثر من سبعة عقود على قيامها بالباطل على حساب الفلسطينيين أصحاب البلاد الأصليين الذين لا يزالون على الرغم من تأمر الكثيرين عليهم يصرون على النضال الشريف بلا كلل ولا ملل لنيل حقوقهم كاملة بالحرية والإستقلال.

11 - خاتمة:

إن قراءة النتائج والتداعيات المذكورة آنفاً تحتاج إلى بحث موسع لا يمكن لمقالة تحليلية مكثفة أن تفيه حقه، ولذا سنكتفي بالإشارة إلى بعض النقاط المهمة في ما آلت إليه الأمور بعد المواجهات الأخيرة ومن أبرزها:

1- إخفاق عسكري وأمني واستخباراتي كبير وكفيل بزعزعة أهم عوامل قوة الكيان الإسرائيلي، فإذا كان المسؤولون الإسرائيليون يتوقعون درجة الأمور للوصول إلى ما وصلت إليه فلماذا أخفقوا في منع حدوث ذلك، وإذا كانوا يجهلون ذلك أو لم يتوقعوه، فالدلائل السلبية مضاعفة.

2- هشاشة نوعية في البنية المجتمعية للداخل الإسرائيلي، وعلى شتى الصعد والمستويات، وهذا ما يمكن دراسته بكثير من المسؤولية، والبناء على نتائج الدراسة.

3- الامتناع عن الرد على الهمجية والعدوانية الصهيونية اليوم أو غداً سيحول كل النتائج الإيجابية المترتبة على هذا الفصل الجديد من المواجهة في مهب الريح، وهذا ما يجب التركيز عليه مهما اشتدت الضغوط، وكبرت التضحيات، فما تحقق من صمود ونصر كبير جداً، انما يؤسس لمرحلة لاحقة محكومة بقواعد اشتباك جديدة.

4 - يعد من بين الإنجازات البارزة لانتفاضة الحجارة والصواريخ في فلسطين "سيف القدس"، تحطيم صدقية السردية الصهيونية عن حقيقة الصراع الدائر منذ قرن في فلسطين، في داخل الولايات المتحدة. فلقد ارتكز التحالف الأميركي - الصهيوني إلى تمهيد ثقافي - أيديولوجي بين نخب البلدين السياسية والفكرية والإعلامية في العقود الماضية، وهو ما جعله يرتقي من مستوى التحالف الاستراتيجي إلى العضوي. وقد أسهمت عوامل كثيرة في تغيير هذا الواقع، خاصة موقف الأجيال الشابة من كيان التطهير العرقي والاستيطان، لكن معركة "سيف القدس" سرّعت مسار التغيير، وأفضت إلى «انهيار جدار الأكاذيب الإسرائيلي». ففي الأسبوع الأول، ساندت إدارة بايدن العدوان الإسرائيلي، ومنعت مجلس الأمن من اتخاذ أي قرار بشأنه، لكن مقاربتها اختلفت بفعل تغير السردية الإعلامية الأميركية حول ما يجري. وهذا التطور لا مثيل له في التاريخ الأميركي. فما بات يخضع للنقاش والنقد اذن هو أسس المشروع الصهيوني، التي تفسر السياسات التي يعتمدها وينعكس هذا التغيير بوضوح في تعامل الإعلام الأميركي حالياً مع التطورات في فلسطين.

التطهير العرقي في الشيخ جراح أضحى تحت المجهر، واتّضح أن سكّانه قد طُردوا من ديارهم في يافا وحيفا في 1948، ومنعوا من العودة إليها منذ ذلك التاريخ، وهم مهدّدون بأن يتعرّضوا للأمر نفسه مجدّداً. والهجمات على المسجد الأقصى كان لها الأثر نفسه، بمعنى أنها سمحت لقطاعات معتبرة من الرأي العام بإدراك الخلفيات العنصرية والاستعمارية للسياسات المتّبعة من قِبَل إسرائيل ضدّ الشعب الفلسطيني.

مدير مكتب نيويورك تايمز الجديد في القدس، باتريك كنگزلي، كتب مقالاً في صفحتها الأولى من 30 فقرة، فنّد في كلّ واحدة منها أكذوبة إسرائيلية حول القدس وأوضاعها، من المواجهات في الأقصى، إلى معركة الشيخ جراح، مروراً بالمسيرات العنصرية للمستوطنين، والتي هاجمت الأحياء العربية. انهار جدار الأكاذيب أمام ما جرى، وأمام تغيّر رأي وسائل الإعلام به. لم تُعدّ هذه الأخيرة تتردّد في دعوة شخصيات أكاديمية أو سياسية أو إعلامية كانت بحكم المقاطعة في مراحل سابقة، لتحليل التطوّرات والتعليق عليها. قنوات مثل أن.بي.سي أو سي.أن.أن أصبحت تستضيف نورا عريقات ويوسف منير.

المسألة في الأصل هي إذن سرقة حقوق الفلسطينيين وبيوتهم. هذا الواقع لديه أثر كبير على الحزب الديمقراطي، لأنّ الشباب والأقليات يشكّلون قسماً أساسياً من قاعدته. بالتالي ان تداعيات المواجهة في فلسطين على السياسة الأميركية في الإقليم لن تكون في مصلحة إسرائيل، خاصة بالنسبة إلى المفاوضات حول الملفّ النووي مع إيران وما سيلبها من تداعيات.